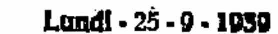
7me Année No. 325



بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٣٢٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــــــرس

١٣ ، ٣٦

سيجفريد فى الأدب

للأستاذ عباس محمود العقاد

أصبح خط سيجفريد مشهوراً فى السنوات الأخيرة ، وقد كان معروفاً فى الحرب الماضية على غير الوصف الذى اشتهر به الآن ، لأنهم كانوا يطلقونه يومئذ على مواقع الجيوش الألمانية خلف « السوم » ما بين سان كنتان ولاون ، ولم يكن فيه حصون ولا أنفاق ولا مكامن كالتى بنوها فى هذه السنوات محاكاة لخط « ماجينو » المعروف

وليس للتسمية مصدر من التاريخ ولا من فنون الحرب ، وإنما مصدرها كله أساطير وأناشيد وخيال

خرافة شمالية قديمة نقلها الألمان عن أمم « الاسكندناف » ما بين أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر ، وجاء « فاجنر » فأدار عليها بعض رواياته الموسيقية ومنها واحدة باسم البطل سيجفريد سليل ملوك البلاد الواطئة وسليل الأرباب العلويين من قبل ذلك

وقد سمى الخط بهذا الاسم لأن نشأة سيجفريد وتربيته كانت بين البلاد الواطئة ووادى الرين حيث يقوم الخط الآن وهناك مشابه تجمع بين البطل والخط فى مجاز الأساطير

فقد كان سيجفريد يملك طيلسان الإخفاء فيلبسه فيصبح في قوة اثنى عشر بطلاً ولا تراه عين ناظر من أبناء الفناء

وكان جلده منيعاً على طعن الحراب والسيوف ، لأنه قتل التنين الحارس لذخائر الرين وسبح في دمه فنشأ له جلد خشن سميك في صلابة القرون التي كانت على التنين

وكان له سيف صاغه بيديه من سيف أبيه المكسور ، يقصم كل شيء ولا يقصمه شيء من الأشياء

لكن الأسطورة لا تقف عند هذه المشابه بل تعدد صفات أخرى لسيجفريد ليست مما يرتضيه هتلر وتابعوه

فقد كان النحس مظلاً للبطل المحبوب من مولده إلى مماته

مات أبوه قبل ولادته وماتت أمه بعد ولادته بقليل ، ورباه قزم بغيض كان هو أول الماقين له المبغضين لمرآه

وسبح في دم التنين فلصقت بين كتفيه ورقة من شجر الزيزفون فحالت بين الدم وجلده فبقى موضعها مقتلاً يعرف سره بعض شانئيه . وقد طعنه منافس له في هذا الموضع وهو يميل إلى نبع ليشفي غلته ، فقضى عليه !

فهل في خط سيجفريد موضع مثل موضع هذه الورقة ؟ وهل يهتدى إليه خصم فينفذ فيه ويقضى على البطل المنيع من كل مكان ، إلا من ذلك المكان ؟

وهل يلازم النحس هذا الخط كما لازم سميه في الأساطير ؟ لقد وصف برنارد شو سيجفريد كما مثلته الأساطير وكما مثله « فاجنر » في روايته فقال في كتابه « الفاجنري الكامل » :

« كان لا يعرف قانوناً ولا شريعة غير هواه ، وكان يمقت القزم الدميم الذي رباه ، ويتميز من الغيظ كلما تقاضاه حق الوفاء . وكان على الجملة مخلوقاً براء من الأخلاق ومن قيود العرف والآداب »

أليست هذه هي النازية بعينها ، أو الآرية كما يصفها فلاسفة هتلر المسخرون للأوامر العسكرية ؟

أليس سيجفريد الحديث خليقاً بمصير سيجفريد القديم ؟

* * *

على أننا لا ننسى نصيب سيجفريد من الفكاهة وقد أجملنا نصيبه من القصص والخيال

فالإنجليز يقولون فيما شاع من « قفشات » الحرب أن خط سيجفريد « ارساتز » Ersatz كسائر ما يصنعه الألمان

وما « ارساتز » هذه يا ترى ؟

كلمة تحتاج إلى تفسير في عرفنا الدارج . وأقرب تفسير لها في هذا العرف أنها تقابل كلمة «التقليد» أو الصناعى التي نقصدها حين نقول في معرض التهكم : « هذا إنسان تقليد ! » . . . أو نقصدها حين نقول في معرض الجد: « هذه زبدة صناعية ! »

ويروى « قفاشو » الإنجليز والعهدة عليهم أن رجلاً ألمانياً ضاقت به الدنيا فعمد إلى بخع نفسه، واستخف الموت شنقاً فاشترى حبلاً ووضع فيه عنقه وضرب الكرسي الذي يقف عليه بقدمه ولكن الحبل كان « ارساتز » فانقطع ولم يصبه شيء

وفكر في السم فذهب إلى صيدلية فاشترى مقداراً من السم يكفي لقتل خمسة وتجرعه مرة واحدة ثم انتظر فإذا هو كأصح ما كان ، لأن السم كان أيضاً « ارساتز » فأفاد من حيث أريد به الإضرار ، وانقلب إلى نوع من الدواء

واشترى من فرط يأسه رصاصاً فوجده بعد التجربة « ارساتز » لا ينطلق ولا تنقدح فيه نار

قال الرجل : لقد خلقت للحياة إذن ، ولم أخلق للموت، وفي العمر بقية لا محالة

ومضى وهو ينوى أن يستمتع بالحياة جهد ما وسعته المتعة من طعام وشراب وسرور

وانحرف في طريقه إلى مطعم كبير فأمر بأصناف كثيرة وصحاف متعددة وأكواب مترعة، ومنادمة مشبعة، وأفرط ما شاء، وهو يحسب أنه قد امتلأ بالغذاء

ولكن ذلك كله كان أيضاً « ارساتز » ...

فات !

* * *

قال القفاشون : وإن بين سيجفريد وماجينو من المشابهة لنظير ما بين زبدة الكيمياء وزبدة البقر والشاء ، أو نظير ما بين الجلد « التقليد » والجلد الصحيح ، أو نظير ما بين « الصولة » الكذابة والصولة الصادقة في لغة الآكلين !

عباس محمود العقاد

للتاريخ السياسي

قنبـــلة سياسية

للدكتور يوسف هيكل

للدكتور يوسف هيكل

في ٢٢ أغسطس ١٩٣٩ انفجرت قنبلة سياسية في برلين سمع دويها في جميع أنحاء العالم ، فهاله الأمر وناله الفزع . ولما لم يكن يعلم ما تحتويه من مواد ، أخذ يرجو أن تكون محتوياتها غير مبيدة ولا قتالة ، وكانت تلك القنبلة إعلان اتفاق ألمانيا وروسيا على توقيع ميثاق عدم الاعتداء بينهما

فوجئ العالم بهذا النبأ واستغرب وقوعه ، لما بين ألمانيا وروسيا من عداء مستحكم ، وما لهتلر من مطامع في البلاد السوفيتية كان يعمل على تحقيقها تحت ستار مكافحة الشيوعية . ومما زاد الصدمة شدة وخطورة ، انقطاع الأمل في انضمام الروسيا إلى « جبهة السلام » لبتحقق بذلك إيقاف دولتي المحور عند حدهما ، ولتتم سلامة دول أوربا من اعتداءاتهما . على أن العالم فوجئ بنتيجة معاكسة لتي كان ينتظرها ، فوجئ بانضمام الروسيا إلى ألمانيا تحت ستار ميثاق عدم الاعتداء ، فكيف تم هذا الميثاق ؟ وما هي محتوياته ؟ وما هي الدواعي التي حدت بألمانيا إلى مصافاة عدوتها اللدود روسيا ، وما الذي دفع السوفييت إلى مد يد المساعدة لمنشئ « جبهة مكافحة الشيوعية ؟ » وما هي نتائج هذا الانقلاب الخطير في الحالة الدولية ؟

لم تصب الدول الديمقراطية في اتفاق مونيخ الهدف الذي كانت ترمي إليه من تهدئة الخواطر وتحقيق السلام بإنالة الهر هتلر ما دعاه « آخر مطالبه في أوربا » . وسبب ذلك سوء نية زعيم ألمانيا ، وعزمه على استعمال التهديد والقوة لنيله مطلباً بعد آخر. فالدول الديمقراطية لم تنل السلام في مونيخ ، بل سبب لها ذلك الاتفاق مشاكل ومصاعب جساماً ، كنا قد نوهنا عنها حينئذ على صفحات « الرسالة » الغراء . وما الميثاق الألماني — الروسي الذي هز أركان العالم وزج بأعظم أممه في حرب ضروس ، إلا نتيجة طبيعية لتسامح الدول الديمقراطية في ٣٠ سبتمبر عام ١٩٣٨ . وهذا الميثاق الذي نظر إليه العالم نظرة الدهشة والغرابة لم يكن ابن ساعته ، بل كان نتيجة لمفاوضات بين برلين وموسكو بدأت منذ استقالة الرفيق ليتفينوف من وزارة الخارجية الروسية وأدت إلى توقيع الاتفاق الألماني الروسي الاقتصادي في برلين في التاسع عشر من أغسطس هذا العام ، ثم إلى توقيع ميثاق عدم الاعتداء الذي نحن بصدده

ولما تم التفاهم والاتفاق بين الدولتين ولم يبق عليهما غير توقيع الوثائق ، أعلن النبأ في برلين في ٢٢ أغسطس . وفي صباح اليوم التالي سافر الهر فون ريبنتروب ، وزير خارجية ألمانيا إلى موسكو بطريق الجو يصحبه اثنان وثلاثون من كبار الموظفين في وزارة الخارجية الألمانية . وعلى أثر وصوله العاصمة السوفيتية بساعتين اجتمع بالرفيق مولوتوف رئيس وزارة الروسيا ووزير خارجيتها . وفي مساء اليوم نفسه وقع الوزيران ميثاق عدم الاعتداء بين الدولتين ، وكان التوقيع بحضور الرفيق ستالين رئيس الدولة السوفيتية . وفي ظهر ٢٤ أغسطس عاد الهر ريبنتروب إلى العاصمة الألمانية .

* * *

لم يكن ميثاق موسكو قليل الأهمية ، كمواثيق عدم الاعتداء التي اعتادت بعض الدول إبرامها بسهولة والتخلص منها في أي وقت أرادت ، كما أنه لم يكن تجديداً لميثاق « رابالو » الذي عقد عام ١٩٢٢ وجدد عام ١٩٢٨ وعام ١٩٣٣ . بل كان ميثاقاً أقرب إلى معاهدة حربية منه إلى ميثاق عدم اعتداء . فبهذا الميثاق ضمنت كل من ألمانيا وروسيا عدم اعتداء إحداهما على الأخرى منفردة أو مشتركة ، كما أن ألمانيا أزالت عنها خطر اشتراك الروسيا في أي حركة ترمي إلى تطويقها مباشرة أو بصورة غير مباشرة . وبذلك أزالت ألمانيا مفعول المعاهدة الفرنسية الروسية لعام ١٩٣٥ ، تلك المعاهدة التي أثارت ثائر هتلر ، ودفعت به إلى عمل كل ما في وسعه لحمل فرنسا على إلغائها ، فلم يوفق حينذاك . وقد تمكنت ألمانيا في هذا الميثاق أيضاً من منع كل مساعدة روسية للدولة التي يكون معها الرايخ مشتبكاً في حرب ، وخصت نفسها بالمساعدة الروسية الواسعة في الحرب وفي السلم . وفي الوقت نفسه هدمت السوفييت جبهة مقاومة الشيوعية ، وباعدت ما بين ألمانيا واليابان

ومما هو جدير بالذكر أن الروسيا لم تضمن ميثاق موسكو المادة التي كانت حريصة عليها في المواثيق السابقة ، والتي تخولها حق نقض الميثاق عند اعتداء المتعاقد معها على دولة ثالثة

ومن الأكيد أن مباحثات الهر ريبنتروب مع الرفيق مولوتوف

لم تكن قاصرة على مضمون ميثاق عدم الاعتداء بل تعدتها إلى تحديد وضعية كل من الدولتين فى أوربا وآسيا . وتقول الدوائر السياسية فى بعض العواصم إن الدولتين اقتسمتا بولندا ، وتعهدت ألمانيا بالتنازل عن مطامعها فى التوسع فى أكرانيا ، كما أن الروسيا تعهدت بالضغط على رومانيا وعلى تركيا لحملهما على الوقوف موقف الحياد حين تنشوب الحرب

فميثاق موسكو لم يكن بعامل جديد على توطيد السلام، بل كان عاملاً مشجعاً للهر هتلر على المغامرة فى إشعال نيران الحرب ، باعتدائه العسكرى على بولندا تلك البلاد التى كانت صديقته بالأمس والتى عقدت معه ميثاق عدم الاعتداء لمدة عشر سنوات .

* * *

إن التقرب بين برلين وموسكو من الأحداث الدولية الخطيرة. ولهذا الحادث أسباب هى فى برلين تختلف عنها فى موسكو . أما العوامل التى دعت الروس إلى قبول فكرة التقرب من ألمانيا فقد ذر قرنها منذ عقد مؤتمر مونيخ فى ٣٠ سبتمبر عام ١٩٣٨

أصرت ألمانيا فى أزمة سبتمبر من العام الفائت على إبعاد السوفييت من المجتمع السياسى الأوربي، ورفضت حينئذ الجلوس مع ممثليها رفضاً باتاً ، وآثرت فشل المفاوضات وتعقيد حلها على أن تشترك فى مؤتمر تكون السوفييت أحد أعضائه ولما رأت بريطانيا وفرنسا أن الهر هتلر جادٌّ فى ذلك ، وأن إصرارها على وجوب اشتراك السوفييت فى مؤتمر مونيخ قد يؤدى إلى الحرب، رضيتا بالنزول على إرادة دكتاتور ألمانيا ، وقبلتا ما طلبه حفظاً للسلام .

رأت الروسيا فى تصرف دول مونيخ ضربة لنفوذها السياسى فى أوربا ، وسبباً فى عزلتها ، فعز ذلك عليها وأخذت تنتهز الفرص للتعويض عما أضاعه عليها مؤتمر مونيخ من نفوذ وأعوان .

لم يحافظ الهر هتلر على اتفاق مونيخ الذى ما تم إلا لإرضائه، ولم يعمل بتصريحاته الرسمية العديدة القائلة بأن ليس له مطالب إقليمية فى أوربا بعد السوديت، بل برهن على أن لا قيمة لتوقيعاته ولا أقواله بضمه بلاد التشك والسلوفاك وميمل إلى الريخ .

عندئذ أيقنت بريطانيا وفرنسا بأن لا فائدة ترجى من سياسة تهدئة الخواطر ، إذ أن زعيم ألمانيا يعتبر النيات السلمية والإنسانية ضعفاً ، ويتخذ من حسن النية عاملاً مشجعاً على الاعتداء على الدول المجاورة للوصول إلى هدفه فى السيادة على أوربا أولاً وعلى العالم أخيراً.

أمام هذه النفسية الألمانية التى لا تعرف حداً لمطامعها عزمت بريطانيا وفرنسا على إيقاف العدوان ، فأمنتا سلامة بولندا ورومانيا ضد الاعتداء . وكان هذا التأمين واسع المدى حتى أنه ترك لبولندا الحكم فيما إذا كان استقلالها ومصالحها الحيوية فى خطر . وعملتا على إيجاد « جبهة سلام » قوية لا يستطيع العدوان أن يجد أمامها متسعاً . وكانت الغاية من هذه الجبهة المحافظة على السلام والتوكيد لهتلر أن بريطانيا وحليفاتها عازمات على إيقاف اعتداءاته عزماً صحيحاً لا محيد عنه .

ومن الطبيعى أن تفكر بريطانيا وفرنسا فى ضم روسيا إلى « جبهة السلام » إذ أن الروسيا حليفة فرنسا ، والنازية عدوة الشيوعية اللدود . يضاف إلى ذلك أن روسيا لها مكانتها فى أوربا الشرقية . فبدأت المفاوضات بين بريطانيا وفرنسا من جهة ، والروسيا من جهة أخرى . غير أن هذه المفاوضات تعقدت وطالت لأسباب لا مجال لبحثها هنا . وقد أصرت بولندا على رفض مرور الجيوش الروسية فى بلادها حين وقوع الاعتداء عليها والاكتفاء بمساعدة الروس لها بالأدوات الحربية . غير أن السوفييت رأت فى رفض بولندا عدم ثقة بها وبجيشها

هذه الأسباب وغيرها أثرت فى الحكومة السوفيتية وجعلتها تنشد سلامة بلادها عن طريق غير طريق التحالف مع بريطانيا وفرنسا ، أى عن طريق التفاهم مع عدوها اللدود الذى يهدد بلادها ويؤلب عليها الدول تحت لواء « ميثاق مكافحة الشيوعية » وبذلك تكون أيضاً قد خرجت من العزلة الدولية التى فرضها عليها مؤتمر مونيخ ، وأزالت خطر مطامع هتلر والتحارب معه

أما من الناحية الألمانية فإن الهر هتلر وجد بريطانيا وفرنسا عازمتين على وقف عدوانه ، وأن سياستهما آخذة فى النجاح شيئاً فشيئاً . ورأى فى جبهتهما جبهة حصار لبلاده ، إن تمت بدخول الروسيا فيها حيل بينه وبين ما يطمع من تحقيق مشروعاته فى السيطرة على أوربا ... أمام هذا الخطر ، وأمام الصعوبات

الداخلية من سياسية واقتصادية ، رأى الهر هتلر أن يخرج من المأزق بعمل يزيده ثقة بتحقيق أطماعه من جهة ، ويضعف القوى المقاومة لتلك المطامع من جهة ثانية . فتقدم إلى عدوته السوفييت وعرض عليها المصافاة والصداقة . فصادف ذلك هوى في نفسها ولم تتردد في قبول ما عرض عليها . وبذلك تم ما أسموه « ميثاق عدم الاعتداء » بين موسكو وبرلين

* * *

وكان لهذا الميثاق نتائج هامة غير الحرب التي تدور رحاها الآن في أوربا ، في ميادين القتال الثلاثة ، البر والبحر والجو

كانت النازية تعتمد في توحيد الصفوف الألمانية وفي إيجاد الحلفاء والأصدقاء على مبدأ « عداء الشيوعية » . ولم يخل كتاب هتلر « كفاحي » ولا أية خطبة من خطبه من التنديد بالشيوعية وذكر أخطارها . وكان هـذا السلاح الذي استعمله الفوهرر مفيداً ومساعداً له على الوصول إلى ما وصل إليه من توحيد الصفوف في ألمـانيا وإيجاد حلفاء وأصدقاء له وقعوا على ميثاق « مكافحة الشيوعية » . ولكن تغيير هتلر لاتجاه سياسته الخارجية تغييراً كلياً أذهل الشعب الألماني وجعله يرى في تصرفات زعيمه ما يناقض المبادئ التي كان يحمله على الإيمان بها

وكان لتغيير سياسة هتلر الخارجية أسوأ الأثر في اليابان . فاجتاحتها موجة بغض شديد للألمان، كان من نتيجته استقالة الوزارة في طوكيو وتغير سياسة اليابان الخارجية . وبدأ التقرب بين اليابان وصديقتها القديمة بريطانيا العظمى .

أما في إيطاليا فلم تكن الحكومة والشعب راضيين عما قام به الهر هتلر . وليس ذلك بغريب ، لأن للحكومة الإيطالية كرامة عزيزة عليها . وهـذه الكرامة تحول بين ألمانيا وبين مرادها في أن تكون إيطاليا أداة لتحقيق مطامعها ، حتى على حسابها .

إزاء هذا التأثير السيء ، حاول الهر هتلر إقناع أصدقائه بأن « ميثاق عدم الاعتداء » بين ألمـانيا وروسيا لا تأثير له قط على مفعول « ميثاق مكافحة الشيوعية » . فكان ذلك مهزلة قبيحة في وسط مأساة مؤلمة .

وكما أن ميثاق موسكو أثر في وضعية ألمانيا الدولية ، فقد أثر أيضاً في وضعية الروسيا ومبادئها الشيوعية . من موسكو تتلقى الأحزاب الشيوعية في البلدان الأخرى تعاليمها وروحها ؛ وكانت هذه الأحزاب آخذة في الانتشار استناداً إلى الصراع المستمر بين الشيوعية والاشتراكية من جهة ، والنازية والرأسمالية من جهة ثانية . ولما رأت الأحزاب الشيوعية في الدول المختلفة أن موسكو مصدر الشيوعية قد حالفت أكبر عدو لها داخلتها الريبة في حسن نية السوفيت ، وغاض لديها التشيع لها والدعوة إليها . ولعل أبرز مثال لذلك موقف الحزب الشيوعي في فرنسا ، وما استهدف له من فقدان نفوذه على الجماعات الفقيرة وطبقات العمال

على أن أهم نتيجة كانت للتقرب بين موسكو وبرلين ، هي نشوب الحرب الحالية باعتداء هتلر الجنوني على بولندا واقتحامه لبلادها دون داع ولا مبرر إلا طمعه في بسط سيادته عليها وعلى أوربا أولاً والعالم أخيراً ، ذلك الاعتداء الذي قام به زعيم ألمانيا رغم الجهود العديدة الجبارة التي بذلت من كل جانب لصون السلام والإبقاء على المدنية . فما هي تلك الجهود ، وماذا كان رد هتلر عليها وما هي الفصول التي مثلتها الدبلوماسية الألمانية لتبرر تعديها على بولندا ؟ هذا ما سنعرضه في مقال آخر .

يوسف هيكل

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

- ١٦ -

كان الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام شرع في الرد على الأستاذ أحمد أمين، فقلت في نفسي: يحسن ترك المسائل التي نقدها الدكتور عزام حتى لا يكون في هذه المقالات حديث معاد. وهل كان الغرض من هذه المقالات إيذاء الأستاذ أحمد أمين بالذات حتى نعيد القول فيما نقده الدكتور عزام؟ إن الغرض هو التنبيه على أغلاط الأستاذ أحمد أمين حتى لا يفتن بها من يثقون بكفايته العلمية من طلبة الآداب في مختلف المعاهد العالية، وقد حمل الدكتور عزام بعض تلك الأعباء

كذلك حدثت نفسي حين قرأت ما كتب الدكتور عبد الوهاب عزام في كشف أغلاط الأستاذ أحمد أمين

ولكني رجعت عن هذه النية فيما بعد حين رأيت أن لي مسالك في النقد تغاير مسالك الدكتور عزام وتجعل القراء في أمان من ضجر الحديث المعاد

زعم الأستاذ أحمد أمين أن علماء العرب «رفعوا من قيمة كل شيء جاهلي وغلوا في تقديره: فالماء الحقير في مستنقع جاهلي خير من دجلة والفرات والنيل وكل أنهار الدنيا، والجرادتان اللتان غنتا للنعمان كان صوتهما وغناؤهما خيراً من كل صوت وكل غناء، ودوسر كتيبة النعمان بن المنذر أقوى جيش عرفه التاريخ، وأيام العرب في الجاهلية ووقائعها الحربية لا يعادلها أي يوم من أيام المسلمين، وجبلا طيء خير جبال الدنيا، وحاتم الطائي لا يساوى كرمه كرم. حتى الرذائل لا يصح أن يساوى برذيلتهم رذيلة، فليس أبخل من مادر، ولا أشأم من البسوس، ولا أسرف من شظاظ»

أتدرون ما الذي قال الدكتور عزام في نقد هذا الكلام الأجوف؟

قال إنه يقوم على أساس المبالغة والإغراق

وهذا نقد جارح: لأن اتهام أستاذ من أساتذة الجامعة بالمبالغة والإغراق له عواقب سود. وما الذي يبقى لأساتذة الجامعات إذا حُرموا مزية التحديد في شرح المقاصد والأغراض؟

وهناك كلمة طواها الدكتور عزام وهي كلمة «الافتراء»، فقد افترى أحمد أمين على علماء العرب حين زعم أنهم لا يرون أن أي يوم من أيام المسلمين يعادل أي يوم من أيام الجاهلية، ونحن نتحداه أن يثبت أنه رأى شواهد هذا الرأي في أي مكان من كتب الأدب أو التاريخ. نتحداه، نتحداه، فلينطق إن كان من كلامه على يقين

وهل شغل المؤلفون بتدوين أخبار الحروب في الجاهلية كما شغلوا بتدوين أخبار الغزوات والفتوحات؟

وما هو النص الذي يشهد بأن الماء الحقير في مستنقع جاهلي كان عندهم خيراً من دجلة والفرات والنيل وسائر أنهار الدنيا؟

وما هي العبارة التي تنص على أن جبلي طيء كانا عندهم خير جبال الأرض؟

وإذا كانت الجرادتان اللتان غنتا للنعمان كان صوتهما وغناؤهما خيراً من كل صوت وكل غناء فكيف استجاز أدباء العرب أن يشغلوا أنفسهم بتقييد أخبار الأغاني والمغنين في عصر بني أمية وعهد بني العباس؟

إن أحمد أمين قد يستطيع النهوض من كبواته الكثيرة، ولكنه لن ينهض أبداً من هذه الكبوة. وستظل شاهداً على أنه يكيل الأدب والذوق بمكيال، مع أنه بحكم منصبه مسئول عن إدراك دقائق الفروق بين الألفاظ والمعاني

***

أترونني أقف عند الحد الذي اكتفى به الدكتور عزام حين قال: إن كلام الأستاذ أحمد أمين في هذه النقطة يقوم على أساس المبالغة والإغراق؟

هيهات، هيهات!!

سأقول إن كلام أحمد أمين صدق في صدق، وسأرجوه أن يتحمل الصدمة برباطة جأش

أفي الحق أن العرب يرون الماء الحقير في مستنقع جاهلي خيراً من دجلة والفرات والنيل؟

وهو كذلك ...

ولكن ما رأيك إذا صارحتك بأن كلامك هذا هو الحجة عليك ... ؟

ألم تقل بأن العرب لم يحسوا الطبيعة فى بلادهم ؟

فكيف يصح هذا وكان الرجل منهم يتعلق بما يراه إلى الحد الذى عبته أنت على أولئك الرجال

المسألة تحتمل وجهين : الوجه الأول أن يكون العرب فى كلامك هم أهل الجاهلية ، والثانى أن يكون العرب فى كلامك هم المسلمين[1]

ولا صحة للوجه الثانى لأن العرب بعد الإسلام تغنوا بأنهار مصر والشام والعراق والأندلس غناء يشهد بأنهم فتنوا أشد الفتون بأنهار تلك البلاد حتى صح لعمر بن أبى ربيعة أن يضرب المثل بعذوبة ماء الفرات فيقول :

أسُكَيْنَ ما ماءُ الفرات وطيبُهُ منى على ظمأٍ وبَرد شراب
بألذَّ منك وإن نأيت وقلما يرعى النساء أمانة الغُيَّاب

وحسان فى جاهليته جعل ماء بَرَدَى يصفق بالرحيق . واتفق لبعض المسلمين أن يقول بأن بردى أنزه بقاع الأرض ، فكيف يجوز مع هذا أن يحكموا بأن الماء الحقير فى المستنقع الجاهلى أعذب من سائر المياه فى الأرض ؟

واتفق لأحد شعراء الأندلس ، وهو ابن خفاجة أن يحكم بأن الأندلس هى جنة الخلد ، ولذلك اتهم بالمروق من الدين ، فهل يصح فى ذهن ابن خفاجة أن تكون المستنقعات الجاهلية أطيب من المياه الأندلسية وهى تجرى فى رعاية الرياض والبساتين ؟

وتحدث النويرى والعمرى عما عرف العرب من بحار وأنهار وغدران حديثاً يشهد بأن العرب بعد إسلامهم فتنوا بما رأوا من طيبات الوجود كل الفتون

يبقى الوجه الأول وهو أن يكون العرب فى كلام أحمد أمين هم أهل الجاهلية

وأعترف بأن الجاهليين فضلوا مياههم على سائر مياه الأرض ولكن هل يدرك أحمد أمين سر هذا التفضيل ؟

إن العربى فى جاهليته كان يرى ماءه خير المياه ، لأن كلمة «ماء» عند أهل الجاهلية ترادف كلمة « الوطن » ومن حق الرجل الكريم أن يرى وطنه خير الأوطان

وأتصدق على الأستاذ الناقد فأقول إن الكتب المؤلفة فى «مياه العرب » لم يكن يراد بها وصف تلك المياه من وجهة طبيعية كأن يقال هذا ماء عذبٌ وذاك ماء أجاج ، وإنما كان يراد بالحديث عن « مياه العرب » وصف المواطن التى تجمّع فيها العرب أيام الجاهلية ، فهى دراسةٌ لطبائع السكان فى تلك البقاع ، وتعريف بقواهم الماشية

وإذا صح للشاعر الحضرى أن يفضل أروند على بغداد فيقول :

وقالت نساء الحى أين ابن أختنا ألا خبِّرونا عنه حُيِّيتُمُ وفدا
رعاه ضمان الله هل فى بلادكم أخو كرم يرعى لذى حسب عهدا
فإن الذى خلفتموه بأرضكم فتى ملأ الأحشاء هجرانه وجدا
أبغداد كم تُنسيه أرْوَند مربعاً ألا خاب من يشرى ببغداد أروندا
فدتهن نفسى لو سمعن بما أرى رمى كل جيدٍ من تنهده عقدا

فقد صح للشاعر البدوى أن يفضل ماء « الوشل » على جميع المياه فيقول :

إقرأ على (الوشل) السلام وقل له كل المشارب مذ هُجِرتَ ذميمُ
سقياً لظلك بالعشىّ وبالضحى ولبرد مائك والمياه حميم
لو كنت أملك منع مائك لم يذق ما فى قِلاتك ما حييتُ لئيم[1]

وهذه الأبيات تبلغ الغاية من المعانى الوطنية ، وفيها تتوقد جذوة الصدق

وقد أُغرم العرب بعد الإسلام بتقديس ما عرفوا من المياه والأنهار فزعموا أن النيل ينبع من الجنة ، ولهم فى ذلك أساطير يعرفها قراء كتب الأدب والتاريخ . وأروند التى ذكرناها آنفاً عرفت الأسطورة التى تقول بأن فى جبلها عيناً تتفجر من الفردوس .

وما دخل العرب بلداً إلا رأوه خير البلاد : فمصر عند أهلها أطيب البلاد وهى كنانة الله فى أرضه من أرادها بسوء قصم الله ظهره . والعراق عند أهله أجمل بقاع الأرض وفى رحابه تنبت عرائس الشعر وتسيطر العيون السود . والشام عند أهله جنة

(١) المسلمين فى هذه العبارة أصح من المسلمون ، لأن الضمير فى مثل هذه العبارة ضمير فصل لا محل له من الاعراب على أرجح الأقوال

(١) القلات هى النقرات فى الجبل

الأرض وفى عرصاته يقوم الناس يوم الحساب . وهضاب فارس كانت فى أنفس شعرائها ملاعب الأفئدة والقلوب . وتونس والجزائر ومراكش كانت مركز الجيش المرابط الذى صد الغارات الأوربية حيناً من الزمان

ولو أردنا أن نستقصي أشعار العرب فى وصف ما عرف المسلمون من البلاد لجمنا من ذلك مجلدات ضخاماً تصور غرام العرب بما شهدوا من أطايب الوجود

فن أين عرف أحمد أمين أن الماء الحقير فى مستنقع جاهلى كان عند العرب خيراً من دجلة والفرات والنيل وسائر أنهار الدنيا ؟

من أين استقى مصدر هذا الحكم الخاطئ الآثم ؟

إن أحمد أمين يمزح فى مواطن لا يُقبَل فيها المزاح . ولو كان ينتظر أن يتناول الناقدون كلامه وأحكامه بالتجريح والتزييف لأقلع عما تورط فيه من مبالغة وإغراق ، فليلق جزاء ما صنع ، وكان لنفسه من الظالمين

ثم ماذا ؟

ثم نسوق القول فى أيام الجاهلية التى ندد بها أحمد أمين

إن أيام الجاهلية كان لها فى الواقع صدى رنّان فى أسماع العرب بعد الإسلام ، وقد شُغِل بها كثير من المؤرخين ، ولكن هل تدرون لأية غاية شُغِل العرب بذلك التاريخ ؟

إن وقائع العرب فى الجاهلية لها ألوان مختلفات ، فبعضها يصور ما كان بين قبائل العرب من نزاع وشقاق قضت بهما منافع المعاش أو مَطالب المجد ، وبعضها يصوّر مغالبة العرب لطغيان الأحباش والفُرس والروم

أما التاريخ الذى يصور ما كان بين القبائل من حروب فكان الحرص عليه يرجع إلى غاية سياسية ، ولتلك الغاية صورة هى اشتباك الأرومات العربيــة فى الخصومات حول المناصب الرئيسية بعد أن مكّن لهم الإسلام من نواصى المجد والمعاش ، وكذلك كانت القبائل تحيي وقائع الجاهلية لتأخذ منها وقوداً لأتون المنازعات حول الرياسة والملك ... ولا يعاب على أمة أن تحيي ماضيها لتنتفع به فى إذكاء العزائم والقلوب

وأما التاريخ الذى يصور وقائع العرب مع الأحباش والفُرس والروم فكانت له غاية قومية ، هى تكذيب ما ادعاه الشعوبيون من أن العرب لم تكن لهم ذاتية قبل الإسلام وأنهم لم يذوقوا طعم المجد إلا بفضل الدين الحنيف

وما كان يؤذى العرب أن يعترفوا بنعمة الإسلام عليهم ، ولكنهم كانوا يكرهون أن يقال إنهم كانوا فى كل عهود الجاهلية أذلاء

ومن هنا رأيناهم يبدئون ويعيدون فى عدّ أيامهم الغُرّ حين أتيح لأسلافهم أن ينتصروا فى بعض المواقع التى نازلوا فيها أعداءهم الأشداء

وهذا يفسّر إكثارهم من الطنطنة فى أشعارهم بيوم ذى قار الذى انتصر فيه العرب على الفُرس انتصاراً أشعرهم بما فى قلوبهم وعزائمهم من صلابة ومتانة وحيوية . ويوم ذى قار فى الجاهلية كان له فضل فى إذكاء حمية العرب يوم القادسية ، وهو اليوم الذى عرف فيه العرب أنهم قادرون على امتلاك ناصية الشرق . وقد ظل يوم ذى قار يذكر فى الأشعار بعد الإسلام بأجيال طوال ، وأظنه سيُذكر بعد هذه الأيام ، فإن وقائع التاريخ لهــا رجعات ، والأحقاد الدفينة تنشرها الحوادث من زمان إلى زمان

فإن زعم أحمد أمين أن دوسر كتيبة النعمان بن المنذر كانت عند العرب أقوى جيش عرفه التاريخ فليعرف إن شاء أن تلك الكتيبة تستحق ذلك التهويل لأنها كانت نواة الجيش الذى :

به علمتْ صُهْبُ الأعاجم أنه
به أعربتْ عن ذات أنفسها العربُ

* * *

وليس يهمنى بعد ذلك أن أنقض قول أحمد أمين إن العرب يرون فضائل الجاهليين خير الفضائل ورذائلهم شر الرذائل ، لأن هذا الكلام لا يحتاج إلى نقض فهو أوهى من بيت العنكبوت . ولو صح أن العرب كانوا يرون حاتماً أكرم الناس جميعاً ، ويعتقدون أن مادراً أبخل الناس جميعاً لما كان فى ذلك بأس من الوجهة الذهنية ، لأن تجسيم الصفات وتضخيمها من الأمور التى استساغها العُرف فى جميع البلاد . وهل يعتقد أحمد أمين حقيقة أن العرب كانوا يريدون القول بأن حاتماً أكرم من جميع الناس فى سائر بقاع الأرض ، وأن مادراً أبخل من كان ومن سيكون فى الشرق والمغرب ؟ ذلك غير معقول

لا يهمني أن أنقض هذا الجانب من كلام أحمد أمين فهو إغراق في التوهم والتخمين ، وإنما يهمني أن أشرح مسألة نقدها الدكتور عزام بصورة تغاير الصورة التي عرضها بلطف ورفق مراعاة لمزاج الأستاذ أحمد أمين الذي يتأدب في معاملة الأحياء ويتمرد في محاسبة من أصبحوا في غيابة التاريخ !

إن أحمد أمين حكم بأن العرب في جاهليتهم انتزعوا صور التعبيرات والتشبيهات والمجازات والاستعارات من البيئة التي عاشوا فيها ، فما يجوز لنا نحن أن نجاريهم في تشبيهاتهم ومجازاتهم واستعاراتهم لأننا نواجه بيئة غير بيئتهم

وهذا الحكم صحيح ، ولكن يجب أن يفهم أحمد أمين الحقيقة الآتية :

في اللغة العربية تعابير كثيرة نشأت في الأصل مصبوغة بالصبغة البدوية ، ولكنها صارت على الزمن ميراثاً حلالاً يملكه أبناء العرب من جيل إلى جيل ، وقد نُسيَ معناها الأول أو كاد بحيث لا يفطن الكاتب أو القارئ إلى أنها منقولة عن صورة بدوية

فالذي يقول : « دون ذلك خرط القتاد » لا يتصور الخرط ولا القتاد حين ينطق بهذا التعبير . والذي يقول : « هذه مشكلة أعقد من ذَنَب الضّب » لا يتصور العُقَد في ذيل ذلك الحيوان ، وإنما يأخذ هذا التعبير قوته من الصورة المرسومة في أذهان من تداولوه على اختلاف الأحوال ، وذلك معروف في اللغات الأجنبية ففيها تعابير منسيّة الأصول وهي تؤدي المراد منها بلا عناء

وهنا يزعم أحمد أمين أن الشاميين والمراقيين لم يروا الضب ولم يعرفوا عنه شيئاً ؟

وأعتقد أن الصواب غير ما قال ، فالشاميون والمراقيون عرفوا الصحراء وما فيها من ضباب ويرابيع

واستنكر أحمد أمين أن يقول المصريون والمراقيون والشاميون « عيون المها وجيد الغزلان » وتعجب من أن يقول ابن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري[1]

(١) المها واحدها مهاة ، وهي البقرة الوحشية ، وقد يراد بها الظبية ، وهي كذلك في أكثر أخيلة الشعراء ، والعرب يسمون الشمس مهاة كما يسمونها غزالة

ثم قال : وأين المها في بغداد أمام عليّ بن الجهم وأين المها في مصر والأندلس ؟

وأنا لم أزر الأندلس حتى أُقرّ أو أُنكِر كلام أحمد أمين ، فقد لا يكون فيها غير الظباء الإنسية ، وإنما أستطيع أن أحكم بأن أحمد أمين ينكر الواقع المحسوس حين يقول بأن أهل بغداد لا يرون الظباء ، فقد رأيتها بعيني تباع وتشترى في شارع الرشيد ولا يزال البغداديون يذهبون لصيد الغزال في نواح كثيرة منها سامراء . وعفا الله عن السيد حسين النقيب الذي مناني بالخروج لصيد الغزال ثم اعتذر بشواغل مجلس النواب

ومن تقاليد أهل بغداد أن يربّوا الظباء في دورهم كالذي رأيت في دار الشاعر ناجي القشطيني ، أراني الله وجهه الأصبح في خير وعافية !

ومن أطعمة أهل بغداد لحم الغزال ، وقد أكلته بشهية في دار ظمياء أعزها الحب !

والبصريون يرون الغزلان حين يشاءون ، فنها أسراب تمرح وتلعب بالقرب من بلدهم الجميل

والشاميون يعرفون الغزلان معرفة أكيدة لأنها تجاورهم في الصحراء الشامية

أما المصريون فهم يعرفون الظباء ، وهي كثيرة جداً في الصحراء الغربية ، وهم يطاردونها من وقت إلى وقت ، وقد حدثنا الأستاذ محمد خالد بأنه اشترك في مطاردة غزال ، وتلك إحدى الأعاجيب ، فقد كنت أحسبه من طراز الأستاذ أحمد أمين

وكلمة « طراز » تدخل في الموضوع ، فهي في الأصل عَلَم الثوب ، كما يعبر صاحب القاموس ، ثم نُسي ذلك الأصل وصار الغرض هو المماثلة في الشمائل والخصال

ومن حقنا أن نقول : إن أحمد أمين ينسج على منوال طه حسين في تكران الحقائق

وليس لأحد أن يعترض بأن المنوال لا تراه العيون إلا في قليل من الأحايين ، لأننا حين نعبر بمثل هذه العبارة لا نفكر في ثوب ولا منوال ، وإنما نسوق التعبير حيث وقع في كلام الأسلاف ونفهم المراد منه بلا عناء

وفى اللغة العربية تعابير لا نكاد نفهم الغرض منها بالتحديد ، ولكنها فى غاية من الانسياغ

ومن شواهد ذلك ما وقع بين الأستاذ سعد اللبان والدكتور هيكل باشا فى مجلس النواب . فقد هجم الأستاذ سعد اللبان على إحدى كليات الجامعة المصرية هجوماً عنيفاً ، فقال الدكتور هيكل باشا : هذا كلام يلقى على عواهنه !

ومن المؤكد أن أكثر النواب لم يفهموا المراد بالعواهن ، ولكن هذه العبارة وقعت منهم موقع القبول ، لأنها خير عبارة تقال فى ذلك المقام الدقيق ، وهى على عنفها لا تجرح الذوق

واعترض الأستاذ أحمد أمين على قولهم : « فلان يعرف من أين تؤكل الكتف » وعدها عبارة بدوية لا يجوز لحضرى أن يدونها فى مقال أو ينطق بها فى حديث

والظاهر أن الأستاذ أحمد أمين يظن أن أهل الحضر لا يأكلون الحملان إلا مقطَّعة بأيدى القصابين فهو لذلك يتوهم أنهم لا يحتاجون إلى الاحتراس عند أكل الكتف

فليعرف (إن شاء) أن الناس لا يزالون يدركون هذه العبارة فى أصلها الأصيل ، وقد رأيت الرجل البدوى الحضرى عبد الستار بك الباسل يداعب أحد ضيوفه بتسليط تيار الكتف عليه ، وهو تيار قد يسلَّط مرة على الأستاذ أحمد أمين فيعرف من أين تؤكل الكتف !

من حق أحمد أمين أن يرى الناس جميعاً مقلدين فى الأخيلة والتعابير ، لأنه من أبعد الناس عن مواجهة الحياة ، وأكاد أجزم بأنه لا يساير الحياة الأدبية والفنية والاجتماعية إلا عن طريق القراءة أو السماع ، وإلا فمن الذى رآه مرة يشهد رواية سينمائية أو يشهد حفلة من حفلات التمثيل ؟

وأعيذكم أن تظنوا أنى أتجنى على الأستاذ أحمد أمين ، فهذا الرجل على فضله قليل الخبرة بألوان الوجود ، وقد تقع منه أحيانًا عبارات تضحك الحزين . أليس هو الذى يقترح أن « نميت القرار ونحيى الزنبق ، ونميت الكمأة ونحيى المانجو ، ونميت القوس ونحيى القنابل ، ونميت الخرنى ونحيى ما يدل على الموبليا » ؟ ذلك كلامه بالحرف ، وهو يدعو إلى النظر فى الألفاظ المتماثلة أو المتقاربة ، لنميت القديم ونحيى الجديد ، ومن كلامه هذا تفهمون أن « الكمأة » نوع من الفاكهة ، بدليل أنه يقابلها بالمانجو !

فهل سمعتم أن الكمأة اسم فاكهة قبل أن يحدثكم بذلك الأستاذ أحمد أمين ؟

إن الكمأة معروفة لأهل الشام والعراق ، ومعروفة لبعض أهل مصر من الذين يتصلون بالأسر السورية واللبنانية والفلسطينية. وقد عرفتها فى القاهرة قبل أن أعرفها فى بغداد ، فكيف جاز للأستاذ أحمد أمين أن يظنها من الفواكه ؟ تلك والله إحدى الغرائب !

* * *

أما بعد ، فقد كنت أرجو أن يترفق الأستاذ أحمد أمين بسمعته الأدبية فلا يعرّضها لهذه المزالق ، وكنت أتمنى أن يكف عن السخرية من ماضى الأمة العربية ، ولكنه أراد أن يمضى فى العناد وفى اللجاجة إلى آخر الشوط فيزعم أن شعراء العرب وكتابهم لم يعرفوا الثورة على المظالم ، ولم يعرفوا تحليل المقاصد والأغراض فى الشعر والإنشاء

وذلك كله ظنٌّ وترجيم ، وسنحاسبه أشد الحساب ، عساه ينتهى عن اللجاجة والعناد

وإنى لواثق بأنه يطرب لهذه المباحث التى تكشف له آفاقاً من الحقائق الأدبية ، وتعينه على فهم ما خفى عليه من مكانة العرب فى التاريخ .

(للحديث شجون) زكى مبارك



صفحة من التاريخ المغربي المجهول

تاريخ سلطنة الطلبة*

للأستاذ إدريس الكتاني

كان فتى شهياً تأكله العين ، قوياً فى ميعة الشباب ، أرسله الوالد الزعيم من ساحة الثورة والزعامة إلى معهد العلم والثقافة ، ليربى الفكر الناشئ ، والعقل الطرى ، ويعلم النفس المستكينة سبيل المجد ، وطريق الحياة .

سار الفتى يقطع الفيافى والقفار على متن الأفراس العربية إلى حيث الجامعة المغربية « القرويين » بفاس ، ليكون طالباً من طلابها ، يسكن إلى مدارسها ، ويتعيش من هبات أوقافها ، ويغمر فكره بهدى علمائها .

قال الراوى : وكان فى المدرسة التى حط الفتى رحله بها شيخ زاهد ، قالوا : إنه من الأبدال[1] ، فكان يقوم بخدمة طلبة العلم هنالك ، ويتعيش من فتات موائدهم وفضلات مآكلهم . واتفق ذات يوم أن أقام فريق من الطلبة مأدبة لعموم من بالمدرسة من الطلاب ، فكان من الذوق أن يتصدر الشيخ الوقور مائدتهم ، كوالد عطوف أو كخادم أمين .

ونصبت موائد الطعام ، فكان الشيخ يتوسط واحدةً منها . وعلى فجأة من القوم أرسل الزاهد بصره ، فما حطه إلا على وجه ذلك الفتى الناعم ، وهو ما زال حديث العهد بهذه المعالم ، وأرسلها الشيخ نظرات متعاقبة كأنما كانت شعاعاً كشافاً أرسله إلى مجهول من الغيب ليعرف !

قال الراوى : وأخذ الارتياب يداخل نفوس الحاضرين من الطلاب فى أمر الشيخ الزاهد ، فتراشقوا بنظرات حادة فيها كثير من الكلام ، كان الشيخ البرئ يصاب منها فى الصميم ، ثم قطع هذه الحيرة واحد من أولئك كان له فى الشيخ وثوق واعتقاد ، إذ صاح به قائلاً : هل من نبأ وراء هذه النظرات يا عماه ؟ ورفع الشيخ بصره يبطء يتفرس فى هذا الذى قطع عليه إلهاماً كان يتلقاه من السماء . وقال فى شيء من التأفف والبغتة : نعم يا ولدى ، ألهمت الساعة أن هذا الطالب سيكون بعد حين ملكاً على المغرب من أقصاه لأقصاه ، وسيؤسس دولة لها سلطان وأعوان ، ورايات خافقات ! . . .

ضجّ الطلبة وتصايحوا لهذا الخبر المباغت ، وتعالت أصواتهم من هنا ومن هناك يصححون النبأ العجيب عن زاهد المدرسة . أما الشيخ فكان يتكلم فى هدوء ووداعة مؤمناً بقوله متأكداً منه ، كأنما يخبر عن شيء يدرك بالبداهة من غير أن يكون للعقل فيه نقاش ، وكان الفتى مأخوذاً بشيء من الدهشة والاستغراب كأنما يحاول ألا يصدق هذا الخبر الذى ما مر له بخاطر من قبل ، ولكن نفسه كانت تميل إلى تصديقه مقتنعةً بصلاح الشيخ وتقواه ، ذاكرةً أنه لا شيء يدعوه إلى اختلاق فرية كهذه . وحدثته نفسه أن يقطع هذا الحديث عن الأفواه ، فصاح فى الطلبة يقول : إن صدق الشيخ فى دعواه ، فسأبنى لكم مدرسة تفوق هذه[1] روعةً وجمالاً ، وسأغمركم بهبات وعطايا لا ينضب معينها ، وسأجعل لكم فوق ذلك سلطنة منكم تقوم دعائمها على كواهلكم فى ربيع كل عام ؛ وكأن الفتى النابه أراد بهذا كبح الغيرة التى رأى ملامحها تتسرب إلى نفوس بعض الطلبة ، وفى الناس من تركبه الغيرة بمجرد الوهم والخيال .

كان هذا الطالب من أسرة شريفة نبيلة ، وردت من الحجاز منذ أمد بعيد ، وأقامت فى جنوب المغرب ببلاد سجلماسة ، وكان يدعى الرشيد بن الشريف بن على ، وأبوه هذا كان له وقتئذ مقام محمود ومنزل محترم بين أهالى البلاد ، بفضل انتسابه للبيت النبوى ودعوته المخلصة للاصلاح والإرشاد .

قال الراوى : وجاء الزمن فطوى من التاريخ مراحل ، وجعل فى الأحوال الاجتماعية مشاكل ، ومهد للساسة والعظماء سبلاً

(*) أنظر العدد ٣١٠ من « الرسالة »

(١) الأبدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم . قال ابن دريد : الواحد بديل .

(١) الاشارة هنا إلى المدرسة التى هم فيها ، وكان موضعها بمكان البنك المخزنى المغربى من شارع القطانين بفاس .

وطرائق ، ولم يشعر القوم حتى كان الجالس على عرش المغرب ، والمسيطر على دولته هو الرشيد ، ذلك الفتى الذى كان طالباً فى جامعة القرويين وتنبأ له الشيخ الصالح بالملك وهو فى مطلع الشباب .

* * *

لم ينس السلطان مولاى الرشيد وعداً كان قطعه على نفسه للطلاب ، وهو حول مائدة العشاء يوم كان طالباً عادياً لا أقل ولا أكثر . فلقد وفى بوعده خير وفاء ، ولم تُنسه مشاغل الملك حياةَ الجامعة وملاهى الصبا .

فأما المدرسة ، فالتاريخ نفسه يؤكد بناء الرشيد للمدرسة التى بحى الشراطين ، والتى تدعى اليوم بمدرسة الشراطين ، وكان الشروع فى بنائها عام ١٠٨١ ، إلا أنها لم تتم إلا فى عهد أخيه إسماعيل من بعده سنة ١٠٨٩[1] ، وهذه المدرسة — كباقى المدارس الأخرى — كانت فى القديم لدراسة العلم وسكنى طلابه فى آن معاً ، أما اليوم فهى لمأواهم ليس غير .

وقد جعل الرشيد لمدرسته هذه طبقات ثلاثاً تشتمل على ٢٣٢ بيتاً وعلى قبة للصلاة ، وكان قد صرف لها عنايته فجاءت آية من آيات الفن المعمارى الجميل الذى ورثه المغرب فيما ورث عن الفردوس المفقود .

وأجمعت الأساطير وغير الأساطير على أن الرشيد هو أول من ابتكر « سلطنة الطلبة » بالمغرب وجعلها سنّة قائمة بفاس ومراكش .

فهذه الأطروفة التى قصصناها تستند فى النتائج إلى شىء من الحقائق التاريخية ، وقد كان حدثنى بها واحد من أشياخى الطاعنين فى السن قائلاً : إنه رواها عن بعض شيوخه الثقات ، وهى عندى رغم ذلك أسطورة تمتُّ فى الأغلب إلى عقلية الشعب وتتشذ بسبب من الأسباب ، ولكيلا أكون متجنياً على رواة هذه القصة أو على القصة نفسها أرانى مضطراً لأن أبين سخرية التاريخ من حوادثها .

* * *

قامت الدولة العلوية المالكة اليوم إثر الدولة السعدية التى تضعضعت أركانها وانحلت عراها بعد وفاة المنصور السعدى وتنازع أولاده من بعده على الملك ، وتطاحنهم عليه ، وكان طبيعياً أن ينقسم المغرب بين هؤلاء وغيرهم من الزعماء والرؤساء على شكل مقاطعات مستقلة يحكمونها كما شاءوا وكيف شاءوا من غير أن يكونوا مسؤولين أمام سلطان أعلى .

وعلى هذا النحو قصد أهل سجلماسة — قاعدة الصحراء — مولاى الشريف بن على (والد الرشيد) ، وسبق أنه كان لأسرته منزل محترم فى قلوب هؤلاء — فطلبوا إليه أن يتولى أمورهم بكل حزم وعزم ، وبايعوه ملكاً على الصحراء عام ١٠٤١ لكى يتأهب للذب عن بلادهم وصد هجمات المعتدين عليها ، وكان الباعث لهم على هذا قيامُ مُحمد الحاج الدلائى واستيلاؤه على تادلة وسلا وجبل درن ، ووصوله لنهر ملوية حيث امتدت أطماعه إلى بلاد الصحراء ، والسلطان عبد الملك بن زيدان بمراكش على لهوه ، ورأسه من حوادث البلاد فارغ أو هو كالفارغ ، إذ لا مطمح له فى القضاء على كل مناوئيه بالقوة وهى منه براء .

والشريف بن على هذا يعتبر أول ملوك الدولة العلوية وإليه يرجع انتسابها ؛ أما الرشيد فكانت ولادته سنة ١٠٤٠ أى قبل بيعة أهل الصحراء لوالده بعام فقط ، ثم وقعت حوادث بين الشريف بن على وبين أبى حسون السملالى الذى كان مستولياً على سوس ودرعة أدت إلى أسر الشريف وبقائه سجيناً بسوس سنة ١٠٤٥ ، ولكن سرعان ما بلغ الخبر إلى ولده البطل المقدام محمد ، فنهض هذا وتقدم إلى شيعته من أهل سجلماسة يستحثهم على إنقاذ والده والدفاع عن كرامتهم المهانة ، ولم يلبث أن جمع جموعاً غفيرة ، قادها بعد ذلك إلى معارك كثيرة ، كان له النصر فى أغلبها ؛ ثم اجتمعت كلمة أهل الصحراء على مبايعته ، فبايعوه بسجلماسة سنة ١٠٥٠ .

وحدث فى سنة ١٠٦٩ أن مات الشريف بن على ، وكان ابنه الرشيد يومئذ شاباً متوقداً يبلغ من العمر ٢٩ سنة ، فخرج هذا من سجلماسة فاراً بنفسه إلى تدغة خوفاً من أخيه محمد الذى أصبح ينظر إليه بعين مرتابة ، خشية أن يطمع فى السلطان

(١) الدرر الفاخرة ص ١٣ لنقيب العائلة المالكة المؤرخ ابن زيدان

أو يصبح شريكاً له فى الأمر . والحق أنه كان فى نفس الرشيد ما كان يتوقعه أخوه محمد ويخشاه ؛ فمنذ أن خرج الرشيد من حكومة أخيه وهو يجمع الجموع عليه ، ويقوم بدعاوة واسعة لنفسه فى طول البلاد وعرضها ؛ متنقلاً بين الحواضر والبوادى ، وأخوه فى كل ذلك يراقبه عن كثب لا يستطيع أن يناله بسوء وهو عنه بعيد

فلما أحس الرشيد من نفسه القدرة على الحرب وشعر بتمكن مركزه من الناس ، قام فى سنة ١٠٧٥ بأنفاد ودعا لنفسه بها ، فاجتمع عليه عرب المعقل وأحلافهم من بنى يزناسن وبايعوه ثم دخلوا مدينة وجدة . فلما وصلت هذه الأنباء إلى أخيه محمد توقع الشر منه ، فخرج إليه من سجلماسة بمن معه من العرب والبربر وقصده بأنفاد فخرج الرشيد لملاقاته ، والتقى الجمعان فى حرب شعواء كان محمد أول ضحاياها بعد أن دخلت الهزيمة إلى جيشه . وخرج الرشيد منتصراً من المعركة يحمل جثة أخيه إلى مضجعها الأخير

ثم سار الرشيد إلى سجلماسة فحاصر ابن أخيه محمد تسعة أشهر حتى غلبه عليها ، فدخلها ومهد أطرافها ، ثم رجع لمدينة تازة . وتطايرت أنباء انتصاراته إلى فاس فتأهب أهلها لقتاله ولكنهم انهزموا أخيراً . وفى عام ١٠٧٧ زحف إلى فاس فاتحاً ودخلها منتصراً بعد أن فر ولاتها ، ثم عقدت له البيعة من رجال الحل والعقد بها [1]

وبدخول الرشيد إلى فاس ومبايعة أهلها له أصبح السلطان الرسمى للبلاد المغربية وكل من عداه من رؤساء المقاطعات المستبدين هم ثوار فى اعتبار الشريعة والأعراف . لهذا كان لزاماً على الرشيد أن يتتبع أعقاب الثائرين ويستأصل كل إمارة تريد الاستبداد بمقاطعتها . ولقد فعل الرشيد كل هذا حتى أصبح سيد البلاد المطلق لا ينازعه فى سلطانه ثائر أو أمير

ثم بعد أن ساد نفوذ الرشيد فى عموم البلاد المغربية باستثناء بعض الشواطئ [2] أخذ يهتم بالإصلاح الداخلى

(١) الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب لأبى القاسم الزيانى مخطوط (٢) كان الانجليز وقتئذ مستولين على طنجة ، والبرتقال على المهدية والجديدة ، والأسبان على سبتة والعرائش وأصيلا ، وأغلب هذه الشواطئ استرده السلطان العظيم اسماعيل أخو الرشيد

فعمر المساجد وبنى الجسور ومهد الطرق وأسس معاهد العلم وكان إذا دخل بلدة تعاهد جوامعها ومدارسها ، وسأل عن مجالس العلم بها وعمن يحضرها ، وكان إلى هذا محباً للعلماء مولعاً بمجالستهم ، محسناً إليهم ، يفيض عليهم من عطاياه ، ويغمرهم بعطفه وإحسانه ، وفى أيامه كثر العلم ، واعتز العلماء والأدباء على السواء [1]

وأخيراً ، وبعد كل هذا ، كان الرشيد بمراكش يشم النسيم فى بستان المسرة ، وأبت ثقته بقوته إلا أن يركب فرساً جموحاً فطار الفرس به بين الأشجار المتعانقة وإذا بغصن من شجرة نارنج يهشم رأسه فيخر إلى الأرض صريعاً ؛ وشاهد الناس مصرع هذا الملك العصامى آسفين فى ١١ من ذى الحجة سنة ١٠٨٢ ، ودفن بمراكش إلى أن نقل منها إلى فاس وأقبر بروضة أبى الحسن على ابن حرزهم بوصية منه بذلك [2]

« للكلام بقية — فاس » ادريس الكتانى

ملاحظة : وقع فى المقال الأول المنشور فى العدد «٣١٠» من الرسالة لفظة « الدعيرة » وهى فى اللهجة المغربية بمعنى الغرامة ، وقد فاتنى التنبيه عليها وتنذاك .

(١) سلوة الأنفاس ج ٣ ص ٧٩ لوالدى محمد بن جعفر الكتانى

(٢) نزهة الحادى فى أخبار ملوك القرن الحادى ص ٢٥٩ للبفرنى .

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية :

السنة الأولى فى مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و ٧٠ قرشا كل من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة فى مجلدين . والمجلد الأول من السنة السابعة

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشا فى الخارج عن كل مجلد

استطلاع صحفى

فن التصوير الجوى

أهم أدوات الحرب الحديثة

« لمندوب الرسالة »

أنبأتنا التلغرافات بأن سلاح الطيران الفرنسى أمكنه أن يصور خريطة دقيقة لخط سيجفريد الألمانى. وعلى ضوء هذه الخريطة يصبح من السهل على قيادة الجيش الفرنسى أن تحدد المناطق الضعيفة منه وتبين أماكن الاستحكامات فيه

ولدينا فى مصر قسم خاص بالتصوير الجوى أنشئ سنة ١٩٣٣ يستطيع رجاله أن يؤدوا نفس المهمة التى قام بها زميلهم الفرنسى. وفى هذا المقال يجد القارئ عرضاً عاماً لطرق التصوير الجوى ومدى فائدته فى الأعمال العسكرية والمدنية ، وما يحتاج إليه من خبرة ودراية .

عملية استكشاف

من النواحى الهامة فى سلاح الطيران الحربى قسم التصوير؛ وهو لا يقل خطورة عن قسم المدفعية. فبواسطته يمكن تصوير سطح الأرض وتوضيح ما عليها من مرتفعات ومنخفضات تبين مسالك الأرض وطرقها فيسهل على القوات العسكرية كشف طريقها ومعرفة اتجاهاتها ، كما يسهل معرفة امتدادات خنادق العدو وتعيين مواقع مدافعه ومعداته فيتيسر للقوات الموالية تدمير هذه الاستحكامات وشق طريق للجيوش البرية وهذه العملية إحدى خطوات الاستكشاف فى الحرب .



ليس هذا مدفعا يطلقه هذا الطيار على هدفه ، ولكنها آلة تصوير يلتقط بها بعض المناظر الجانبية من الطائرة

ولهذا كان من أهم التدابير التى تتخذها الحكومات ويقرها القانون الدولى منع الطيران أو التصوير فوق المناطق العسكرية، وأبيح لها حق تفتيش الطائرات التى تخالف هذه القاعدة كما أبيح لها حق إسقاطها بإطلاق النار عليها مما يعتبر عملاً عدائياً فى المناطق المدنية .

سرعة وتضامن

ويختلف أدوات التصوير بالطائرات عنها فى الحالات العادية. يضاف إلى ذلك ما تستلزمه من سرعة وتضامن بين الطيار والمصور. فالتصوير من الجو نوعان : ففى الأول تثبت الآلة فى أسفل الطائرة على قواعد خصصت لذلك فإذا أراد الطيار تصوير منطقة معينة يجب عليه أن يطير بسرعة ثابتة وعلى ارتفاع ثابت حتى تكون المساحات الظاهرة فى الصورة واحدة؛ فمن المعروف أنه كلما بعدت آلة التصوير شغل هذا الجسم مساحة أقل من مساحة الصورة ، وبالتالى تزيد مساحة سطح الأرض التى تلتقطها الآلة ؛ وعندئذ يتعذر تحديد أبعاد المكان فيظهر على الصورة مساحة كبيرة أو صغيرة تبعاً لارتفاع الطائرة وسرعتها

بعد أن التقطت الطائرة شريطا طويلا من الصور للأرض بدأ فنيو قسم التصوير توفيق هذه الصورة بعضها مع بعض فتكون النتيجة خريطة كاملة للبقعة التى صورت تبين جميع دقائقها

ويختلف عدد صور شريط تصوير هذه الآلة باختلاف الأغراض المطلوبة منه فأحياناً يكون ٢٥ صورة وأحياناً ٥٠ وأحياناً ١٢٥ صورة . ولا يحتاج الصور إلى تكرار الضغط على

مفاتيح التقاط الصور عند تصوير كل منظر . فإن الآلة تسجل المناظر بطريقة آلية كل مدة من الزمن إلى أن ينتهى شريطها أو يقف المصور الآلة

وطريقة التصوير الجوى الأخرى هى المعروفة بالتصوير الجانبى إذ يمسك المصور بآلته ويلتقط الصور التى يريدها . وفى كلتا الحالتين يحتاج التصوير إلى طيار ماهر حتى لا تهتز الآلة ، وغالباً يكون ارتفاع الطائرة مقدار ثلاثة آلاف قدم . وقد يبدو هذا البعد كثيراً على عين آلة التصوير ، ولكن عدساتها برغم أنها عدسات عادية وليست مقربة تستطيع التقاط جميع تفاصيل الأرض لدقتها ولخلوها من الفقاعات الهوائية التى قد تفسد وضوح المرئى .

تأثير الضوء

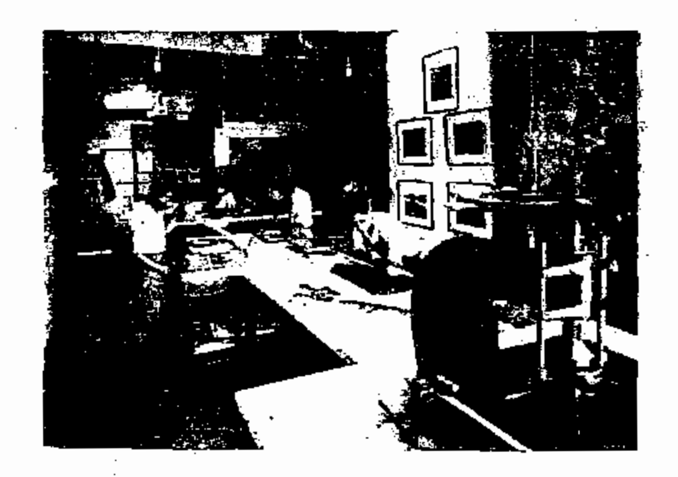
فإذا انتهى المصور من التقاط المناظر التى يريدها هبطت الطائرة إلى الأرض وبدأت عملية ثانية لا تقل دقة عن سابقتها إذ يبدأ العمال بتحميض شريط الصور السالبة . ومن المسائل التى تجب مراعاتها أن يكون هـذا التحميض مساوياً لجميع أجزاء الشريط ، ثم تبدأ عملية الطبع وهى أكثر دقة من أية عملية أخرى ، إذ يجب أن يحافظ العامل فى طبع الصور الموجبة على أن تكون كلها من لون أسود واحد ، فلا تظهر إحداها ضعيفة اللون والأخرى قوية ، حتى إذا جمعت الصور بعضها إلى بعض ظهرت كأنها صورة واحدة .

وتحتاج هذه العملية إلى كثير من الخبرة؛ فتوزيع كمية الضوء على الأرض لا يكون بنسبة واحدة ؛ فى مناطق تكثر الظلال ، وفى مناطق أخرى يكون سطح الأرض مكشوفاً لضوء الشمس؛ وهذا يؤثر على تشبع الصورة السلبية بالضوء فيظهر بعضها أسود والآخر أقل سواداً تبعاً لكمية الضوء التى تعرضت لها الصورة والتى لا يستطيع المصور ضبطها

وتجمع الصور الموجبة ويلصق بعضها إلى بعض بحيث تكمل الصورة التى تليها حتى إذا تمت المجموعة ظهرت صفحة الأرض واضحة لمدة أميال. وقد تمكن قسم التصوير بسلاح الطيران الجوى المصرى من تصوير جميع مناطق القطر المصرى فيمكنه أن يقدم لمصالح الحكومة ولأقسامها المختصة صورة أى بلدة فيظهر عليها ما فى تلك البلدة من مرتفعات ومنخفضات وما فيها من طرق مائية أو برية أو جسور

تحليل الصور

ويسهل على الإخصائيين فى التصوير تحليل الصور كما يسهل على الكيميائيين تحليل المواد . فبعد أن ينتهى المعمل من صنع الصورة فإنها تحلل بأن توضع تحت مجهر خاص يكشف أسرارها فما يرى خطاً ضعيفاً بالعين المجردة قد يكشف عن خندق مسلح وما يظهر نقطة سوداء على الصورة قد يظهر مدفعاً بالتحليل الفنى وأمام العين العسكرية والخبرة الحربية



موظفو قسم التصوير الجوى وطلبته وهم يؤدون عملهم الفنى بإعداد الصور لسلاح الطيران المصرى

ويتدرب كثير من رجال الطيران على فنون التصوير الجوى ومنهم من يتخصص فيه . ومن الضرورى أن يلم كل طيار بمبادئه الأولية حتى يدرك مدى المعونة التى يقدمها للمصور إذا اشتغل أحدهما مع الآخر وحتى يدرك أهمية المناطق التى يمر بهـا أثناء انتقاله فى الجو من جهة إلى أخرى

ولا تقتصر عملية التصوير الجوى على الفوائد العسكرية بل تتعدى إلى الفائدة العلمية؛ فبالتصوير الجوى نستطيع أن نحصل على صورة دقيقة للتعاريج الساحلية أو النهرية وضبط مواقعها ومسافاتها بالضبط . وقد أتيحت لى الفرصة فشاهدت مدينة القاهرة التى التقطها سلاح الطيران البريطانى فرأيت فيها شوارع المدينة فى أتم وضوح كما شاهدت جزر النيل وجسوره وانحناءاته ظاهرة بكل تفصيل

٤٠٠٠ صورة فى صورة



أحد الفنيين يكبر صورة التقطتها إحدى الطائرات

وفى آخر مرة زرت فيها قسم التصوير الجوى شاهدت العمال يمدون صورة لفرع رشيد بلغ طولها بعد لصق أجزاء الصور ما لا يقل عن عشرين متراً ، كلف التقاطها وطبعها القسم ٣٠٠ جنيه ، إذ تتكون الصورة من ٤٠٠٠ جزء كان التقاطها بمعرفة سلاح الطيران الجوى البريطانى يكلف الحكومة المصرية أربعة آلاف جنيه .

وقد أنشئ قسم التصوير الجوى المصرى سنة ١٩٣٣ فعين فيه ثلاثة أفراد مصريان وصول انجليزى ، ثم ازداد عدد العمال تبعاً لنمو الجيش وحاجة سلاح الطيران . فاقتنى من آلات التصوير وأجهزته أدقها ، وعين من الإخصائيين المهرة الذين حذقوا هذا الفن ودرسوه فى بعثات أرسلت إلى البلاد الإنجليزية حتى أصبح استعداد القسم ينافس أحسن الأقسام فى البلاد الأوربية

فى استطاعة قسمنا المصرى أن ينتهى من عمل خريطة مكونة من ٦٥ صورة فى مدة ٢٤ ساعة بأى مقياس مطلوب رغم ما فى هذه العملية من صعوبات فنية . وقد أثبت رجال القسم جدارتهم وسرعتهم فى مناسبات كثيرة فى الحفلات العسكرية الرسمية المختلفة ، فأمكن إخراج الصور وتجفيفها ثم إهداؤها للزائرين فى مدة نصف ساعة . وعند زيارة سمو الأمير محمد رضا ولى عهد إيران للكلية الحربية قدمت لسموه صور زيارته للكلية قبل أن يغادرها رغم بعد المسافة بين الكلية وبين مطار ألماظة مركز القسم

معامل متنقلة

وأعد القسم عدته حتى لا يقتصر نشاطه على منطقة واحدة ، فجهز سيارات خاصة بجميع الأجهزة اللازمة حتى تكون معمل تصوير متنقلاً يستطيع تحميض الصور وطبعها وتكبيرها فى أى زمان ومكان ، وفى مختلف الظروف والأحوال . وخصص لكل سيارة عمالها كما وزع بعض رجاله فى المناطق التى تمس الحاجة العسكرية إلى وجودهم فيها .

فمنذ سنة ١٩٣٣ وقسم التصوير الجوى يؤدى مهمتين: أولاهما العمل الفنى المطلوب، والثانية تعليم الجنود والضباط. فهو من هذه الناحية معمل ومدرسة يقضى فيه الطالب ثمانية أشهر يتلقى فيها جميع الفنون التى يحتاج إليها المصور البارع من نظريات لفهم التصوير وتركيب حوامض التحميض والطبع ثم التكبير وضبط الصور وتحليلها وتأثير الحرارة على الأفلام والأحماض

بعض العمال يدرسون الصور التى التقطها سلاح الطيران المصرى

وبهذا المجهود الكبير أمكن لقسمنا المصرى أن يسجل لنفسه طريقة جديدة فى طبع الصور ذات الألوان المتعددة . وهى طريقة معقدة ولكنها أسهل من الطرق المتبعة فى البلاد الأخرى وتحتاج إلى خبرة ودقة كبيرتين، ففى وسع قسم التصوير أن يقدم لك صورة أى منظر طبيعى أو صناعى بألوانه الأصلية مهما تباينت ألوانه . وهو يقدم للصحافيين الأجانب أحسن مناظر مصر الطبيعية بألوانها الأصلية، فأضاف إلى مهمته العسكرية مهمة جديدة هى الدعاية لمصر بتقديم صورة ناطقة عن الحياة وسحر الطبيعة فيها .

فوزى الشتوى

كان ما كان ! . . .

للأستاذ صلاح الدين المنجد

ترى لم تُمحِ هذه الطيوف بمضجعى . . . فى هذا الليل الوسنان ، فتملأ نفسى حنيناً إلى أيام الطفولة اللاهية ، ومرابع العيش الرغيد ؟ . . . ولمَ ترقص حولى ، قافزة من حفافىّ السرير ، راتعة فى حنايا الستور . . . فتدفعنى إلى إغماض جفنىّ ، أستشف من خلل الهدب الرفّاف بالدمع ، تلك المغانى الحبيبة ، التى فارقتها منذ بعيد . . . فأضحت — يا رحمتا لها — خلاء ، لا البشر يضحك فى جنباتها ، ولا الأم الرؤوم تناغى فيها الوليد . . . !

لقد رأيت الآن . . . ذلك الطفل الذى درج بالأمس على قبلات الأهل ، وبسمات الجيران ؛ وتمثلته ، وقد نبت بين الفضة الباهية والذهب الرنّان . . . ولمحت أمه تنظر إليه ضاحكة جذلى ؛ ترى فيه منية النفس ورغيبة الشباب ، ثم أراه . . . يرتع فوق الأرائك مع أخيه ، فى غرفة واسعة ، وقد روّق الليل ، وانتشر الظلام ، وأرنو إليه يرسّ حديثاً فى نفسه ، كان قد سمعه من جارته الصغيرة تحت شجرة الليمون فى النهار . . . ثم يسمع إلى أبيه يهمس فى أذن أمه أن « سأودعه دار الشيخ غداً . . . ! » ، فلا يفهم الطفل عنه ، ولا يحاول الفهم ، على الرغم من حبه للاستطلاع ، ورغبته فى الكلام . . . فقد كان له فى كرته الصغيرة ، وفى أخيه الحبيب ، غنى عن السؤال ، وغنى عن الكلام ! . . .

ويتهادى الصبح باسماً كغانية خلوب ، فينتشر النور وينقشع الظلام . فإذا كان كَطفَل الغداة ، نادى الأب ابنه ، ليرافقه إلى البستان . وتسرع الأم فتلبسه الرداء الفاخر والحذاء اللامع . لقد غضب آنئذ ، وعلم أن الرداء يمزق فوق الغصون الدوالى . . . وأن الحذاء سيبلى فى التراب الأحمر الناعم . ولكن الأب يمسك بيد ابنه ويمضى . . . وقد أطرق الوليد يفكر فى الشجيرات التى يجعلها أرجوحة له ، والفراشات التى سيطاردها فى كل مكان . . . . والعصافير التى سيقفز ليقبض عليها . . . فتفلت منه . . . والأزاهير التى يحملها إلى جارته الصغيرة إذا رجع إلى الدار مع المساء . ثم يحدث نفسه عن رفقائه المساكين الذين لم ينعموا بما ينعم به من عيش ليّن ولهو كثير ؛ ولا ينسى أن يزوّر فى نفسه كلاماً يتأبه به عليهم إذا رآهم فى الزقاق عند المشاة . ولكن الأب يمضى . . . لا يلتفت إلى ثرثرة الطفل ، مسرعاً فى مشيه ، موفضاً فى خطاه ؛ والطفل يقفز وراءه كعصفور جذلان ، ثم يقصد زقاقاً مظلماً من تلك الأزقة التى تعج فيها رائحة العفن ويتعالى الغبار . . . فينقبض صدر الطفل . . . فقد حدثوه أن الشيخ كامل ، وهو مصدر التقوى والعفة والصلاح — كما حدثه أبوه — ومصدر الخبث والشر والفساد — كما حدثه رفيقه — يقطن بهذا الزقاق . فيبكى الطفل بدموع غزار ويحاول الفرار ، ولكن الأب يمسك بيد ابنه يجره ويدفعه ويغريه باللعب إذا بلغ البستان ، وينفحه « بنصف مجيدى » لينقطع عن البكاء . حتى إذا بلغ غاية الزقاق ، عرج به فطرق باباً غليظاً . ويقف الطفل ، ما يدرى لم يجره أبوه وهو الذى يحبه ، ولم يدفعه وهو الذى يؤثره على نفسه . ! ويفتح الباب شيخ هِمّ ، كان كلما تمثله فى خاطره بعد ذلك اليوم قفّ شعر رأسه ، وأغمض عينيه من الاشمئزاز : فقد بقى فى ذاكرته ، أنه كان ذا قامة فارعة ، مسنون الوجه أسمره ، خفيف العارضين ، لم تبق الأيام من لحيته إلا شعرات لا لون لها نبتت هنا وهناك ، تقفز وتهتز كلما ضحك أو تكلم . وبقى فى ذاكرته أيضاً أنه كان أدرد ، إلا من بضعة أسنان ملتوية صفراء تبعثرت فى فمه الذى حسبه مغارة الجن ومأوى الشيطان . أما عيناه فكانتا غائرتين صغيرتين . . . يرد القباب على موقيهما ليرتشف الطيبات ، وهو يذكر أيضاً تلك السبحة الطويلة التى علقها فى عنقه . . . وحسب حباتها الكبيرة « دحاحل » رفقائه الصغار ، وتلك الجبة التى حال لونها وسخف نسجها . ويبادره الأب بالسلام ، فيهش الشيخ ويبش ، ثم يرحب ويقول : ما شاء الله . . . ما شاء الله . . . ثم يربت على كتف الطفل مردداً كلمات وتعاويذ لم يفهم الطفل لها معنى وإن كانت أطربته فأنصت لها . ويدخل الأب ويتبعه الطفل قائلاً بصوت حزين : « أهنا البستان يا بابا ؟ » ولكن الأب يحتال عليه ويسلمه للشيخ ليطعمه من نقله المبارك . فيدخل الطفل تتنازعه الرهبة من أبيه والرغبة فى نقل الشيخ ، ويرى فيما يراه آنئذ غرفة مظلمة سوداء لقى فيها

رفقاءه الصغار ؛ وقد جلس أحدهم فوق قطعة من الحصير البالي ، يردد كلمات أفزعته وأضحكته ، منحنياً إلى الأمام وإلى الوراء ؛ ووقف ثان يحملق فاغراً فاه ؛ وانحنى ثالث يبكي بكاء كعواء الكلاب ؛ فتستولى الكآبة على الطفل وينقبض صدره ، ويرتد راجعاً ليرى أباه ، فإذا بأبيه قد فر ؛ وإذا بالشيخ يلحق به ليرجعه وفي يده بضع «سكرات» يدفعها إلى فم الصغير . ويجلس الطفل بجانب الشيخ على دكة من القش . لقد جال بصره في هذه الغرفة الحقيرة ، فرأى أشياء أنكرها ، ولم يكن له بها عهد من قبل : شعر بهذا الظلام الذي يرفرف فوق الغرفة فيجعلها كالقبو الذي تضع فيه أمه ما رث من الأثاث ، ورأى هذه العناكب التي امتدت في أعالي الجدران كأنها تريد أن تزين الغرفة كما تزين أمه الجدران بأوراق الشجر وأزاهير البستان ، ولمس الحصير البالي فأبصر الخشب وقد نخره السوس ، وحدق بتلك الخشبة المستديرة المستطيلة كبندقية خاله التي ود لو يحملها ليصبح جندياً فأبوا عليه ذلك ، فتساءل لم علقها الشيخ ولم يهدد بها الصبيان ؟

عندئذ ضاقت نفس الطفل فانفجر باكياً ... ويقوم الشيخ ليخفف عن الطفل حزنه ... ويكفكف دمعه ، والصبيان يرمقونه دهشين ، يحسدونه على ما يلقى من عطف ، وما يظهره الشيخ من لطف ، على حين يضربهم ضرباً ويصفعهم صفعاً ... ولكن الطفل لا يهدأ ، بل يزداد بكاء وصراخاً ، شأن الأطفال كلهم ، فينادي الشيخ زوجته « الشيخة صفية » ، التي علم الطفل أنها تجمع النساء يوماً في الأسبوع ، ليقرأن معها « الورْد » ، وينقرن الدفوف ، ويهززن الروادف والبطون ابتغاء مرضاة « الشاذلي » وتقرباً من الرسول ... وما يكاد يراها الطفل حتى يتولى عنها ؛ فإن تلك الشعرات الطويلة التي نبتت على شفتها العليا ، وتدلت فوق فمها الرخو أزعجته ، على الرغم من دعائها له ، وصلاتها على النبي ، وقبلاتها التي اقشعر منها بدنه ... فيعود إلى غرفة الشيخ يسأله عن أبيه ، فإذا به يجده يصرخ برفيق له ، ثم يدفعه إلى الأرض ثم يمد إلى تلك الخشبة المستديرة ، فيجعل رجلي الطفل بين الحبل والخشب ، ويفتل الخشبة مع صبي آخر ... ويضربه بقضيب من خيزران ضربات موجعات فيصيح الصبي ويستعطف الشيخ ، ويقسم لئن تركه ليحفظن الدرس ولكن الشيخ لا يلتفت إليه ، فهو لاه عنه بعد الضربات ! ...

ورأى الدمع في عيني الطفل – شفقة على رفيقه الصغير – فهب منادياً : « هذا رفيق ... ليش تضربه ؟ »

فيحدق الشيخ في الطفل يوعده بالجزاء، فترعبه نظراته ويلجأ إلى البكاء ... ويصرخ ويصيح ... وينادي أمه وأباه ، ويضرب وجهه بكفيه والأرض بقدميه ، فيحوقل الشيخ ويرجع ويترك الصبي ليرضي الطفل ، والطفل يبكي ويصيح ... فيمضي الشيخ ... ليأتي « بسكاكره » المحورة ، فينقطع الطفل فجاءة عن البكاء . وينظر إلى رفاقه ويقول :

« راح ... هيا ... تعالوا نهرب قبل أن يجيء ... نغلق الباب ... ألسنا أقوياء ... نختبيء في الزقاق ... قوموا ... قوموا ... » ولكن الصبيان الذين ألفوا الذل واعتادوا الضرب ، أنكروا ما قاله الطفل ... فلم ينتظرهم بل تأبط حذاءه ... وقام يعدو نحو صحن الدار ... ثم فتح الباب وخرج إلى الزقاق يتنفس الصعداء ...

* * *

ويعود إلى الدار كالقائد الظافر .. فيستعيذ أبوه من الشيطان عند ما يراه ، وتشهق أمه من العجب فتسأله كيف فر من الكُتّاب ! ولكنه يطأطئ رأسه ويسرع فينزع ثيابه . ثم يتسلق خشب العريشة ، وينادي ابنة جاره الصغيرة فيسألها :

— أتلعبين بالدحاحل يا حسنا ... لقد عدت من البستان !

أما الأب فيعبس ويثور . وأما الأم فتضحك وتقول :

دعه ... فإنه صغير

* * *

وانغمست في الفراش ، وفي العين دمعة ، وفي الصدر آهة ، وفي النفس آلام

« دمشق » صبوح الدين المنجد .

رد على تعقيب

الجبر والاختيـــار

للأديب السيد محمد العزاوي

طالعت في البريد الأدبي لعدد الرسالة — ٣٢٢ — ما تفضل به عليّ الأديب الفاضل داود حمدان من ملاحظات قيمة على مقالي الأول في الجبرية والاختيار؛ وعنت لي ملاحظات على رده سيتسع صدره لها دون شك، والله المستعان

أما اعتراضه على أن المسلمين لم يقل منهم أحد بأن «الإنسان وأفعاله من خلق الله فلا يكون ثمة حساب أو عقاب» فواضح أن أحداً لم يقل بذلك. وما هو بخاف، ولكني أردت أن أذكر حدى القضية الذهنيين، بغض النظر عن أن الكلاميين تكلموا في الطرف الثاني أو لم يتكلموا. وهذا أسلوب واضح: أن يذكر الكاتب حدى القضية على السواء في ذلك المعقول وغير المعقول الممكن والمستحيل، ما تكلم فيه وما لم يتكلم فيه. ولعله فهم أني أريد أن المتكلمين قد تكلموا في هذا الوجه ما داموا قد تكلموا في الوجه الآخر، ويبدو أن هذا ما بني اعتراضه عليه

أما ذهابه إلى أن المسلمين قد أجمعوا على أن الله تعالى عالم بكل ما يحدث قبل حدوثه ففيه نظر؛ إذ قد اختلفت وجهات النظر بين الفرق اختلافاً لم يجعل وجهاً لادعائه بأن فرقة واحدة من القدرية هي التي قالت: «إن الله لا يقدر الأمور أزلاً، ولم يتقدم علمه بها، وإنما يأتنفها علماً حال وقوعها». فقد ذهب إلى ذلك مفكرون عدة سأذكر بعضاً منهم على سبيل المثال.

فالجهم بن صفوان رأس الجهمية قال: «لا يجوز أن (الله) يعلم الشيء قبل خلقه لأنه لو علم ثم خلق أفيبقى علمه على ما كان أو لم يبق؟ فإن بقى فهو جهل: فإن العلم بأن سيوجد غير العلم بأن قد وجد؛ وإن لم يبق فقد تغير، والمتغير مخلوق ليس بقديم.. وإذا ثبت حدوث العلم فليس يخلو إما أن يحدث في ذاته تعالى، وذلك يؤدي إلى التغير في ذاته، وأن يكون محلاً للحوادث، وإما أن يحدث في محل فيكون المحل موصوفاً به لا الباري تعالى فتعين أنه لا محل له. فأثبت علوماً حادثة بعدد المعلومات الموجودة[1]»

وهشام بن الحكم قال بأن (الله سبحانه) لم يزل عالماً بنفسه، ويعلم الأشياء بعد كونها بعلم لا يقال فيه محدث أو قديم لأنه صفة والصفة لا توصف[1]

وهشام بن عمرو الفوطي كان يقول بأن الأشياء قبل كونها معدومة ليست أشياء، وهي بعد أن تعدم عن وجود تسمى أشياء. ولهذا المعنى كان يمنع القول بأن الله تعالى قد كان لم يزل عالماً بالأشياء قبل كونها فإنها لا تسمى أشياء[2]

فأي هذه الفرق - على قلة ما اخترت منها - يريد أن تكون الفرقة من القدرية؟ الجهمية أو الهشامية أو الفوطية، وغيرها كثير؟ ثم ألا يكفي كل هذا لأن أجعل هذا القول مقابلاً لقول سائر المسلمين، أو على الأقل لأن أدعي أن هذا كان تفكيراً لرجال الدين والمتكلمين؟ أم أن تكفير الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد وغيرهم من الأئمة لهذه الفرق يخرج بهذا التفكير عن أن يكون «إسلامياً»: إن لم يكن بالمفكرين فيه فلا أقل من أن يكون بالموضوع الذي دار حوله هذا التفكير؟ صحيح أن النزاع في مسألة سبق علم الله بما يحدث أو ائتنافه له علماً حال وقوعه قد اندمج في «النزاع في أنه كما أن العالم منا علماً هو عرض قائم به زائد عليه حادث، فهل لصانع العالم علم هو صفة أزلية قائمة به زائدة عليه، وكذا جميع الصفات[3]» وتشعب القول بين الفرق في الأمر، وأصبح سبق علم الله أو ائتنافه حداً من حدود هذه القضية. واختلف القول فيه إلى ما قد فرغت من إيراد بعضه، واتضح منه أن المسلمين لم تجتمع كلمتهم على ما أورد الأديب الفاضل. ولنفرض جدلاً بأن طائفة واحدة من القدرية قالت بأن الله لم يتقدم علمه بالأشياء، أليس من العدل أن أذكر ذلك حتى أبين أقصى مدى بلغته الفكرة، وأوسع عرض حازته هذه الدعوى؟

أما اعتراضه على اشتراك الجهمية والمعتزلة في نفس الصفات عن الله ففيه نظر كذلك؛ فقد طلب الأديب الفاضل أن أفصل قول المعتزلة حتى لا أوهم إنكارهم الصفات إنكاراً غير حميد، ولم يكن المقام مستلزماً أن أفصل قول المعتزلة أو غيرهم فإني كنت أود أن أبين اشتراكهم والجهمية في اختصار أتحرز به من تهويش ذهن القارئ حتى أستطيع بعد ذلك أن أطلعه على رأي أبي العلاء

على أن الجهمية وافقت المعتزلة في نفس الصفات الأزلية. فنفى جهم أن يكون لله صفات غير ذاته[4] وزاد عليهم (على المعتزلة)

(١) الشهرستاني ج ١ على حاشية الملل والنحل لابن حزم ص ١٠٩

(١) الشهرستاني ج ٢ على حاشية الملل والنحل لابن حزم ص ٢٢
(٢) الشهرستاني ج ١ ص ٩١ (٣) العقائد النسفية وحواشيها ص ٤٥ (٤) فجر الإسلام ص ٣٤٣

بأشياء منها قوله لا يجوز أن يوصف البارى تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضى تشبيهاً . فنفى كونه حياً عالماً ، وأثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً ...[1]

فنفى الجهمية للصفات ناشىء من أن التشبيه بالمخلوق مستحيل على الله فوجب أن يؤول ما يرد فى القرآن بهذا المعنى ، ويؤخذ على غير ظاهره . فالحياة والعلم الإلهيين — فى رأى الجهمية — ليسا حياة وعلماً كحياتنا وعلمنا، تحرزاً منهم من التشبيه، فليس نفيه — والحال هذه — « يعطل الأسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفى الذات المقدسة .

ونفى المعتزلة للصفات ناشىء من أنهم لو أثبتوا الصفات ، فإما أنها صفات قديمة قائمة به زائدة عليه فيلزم تكثر فى الذات ، وتعدد فى القدماء والواجبات ، ومن المستحيل تعدد الذوات القديمة . وإما أنها صفات محدثة فهى عرض لذات قديمة والعرض قابل للتغير والزوال ، ومحال على الله التغير . فالمتغير مخلوق ليس بقديم . وإن كانت صفات قديمة أزلية ، فإما أن تكون خارجة عن الذات فتعدد القدماء » وأنكره الفلاسفة والمعتزلة وزعموا أن صفاته عين ذاته بمعنى أن ذاته تسمى باعتبار التعلق بالمعلومات عالماً ، والمقدورات قادراً[2] ولصعوبة هذا المقام ذهبت المعتزلة ، والفلاسفة إلى نفى الصفات ، والكرامية إلى نفى قدمها ، والأشاعرة إلى نفى غيريتها وعينيتها[3] »

فالفرقتان كما ترى من المعطلة ، قد اتفقتا فى النتيجة ، وإن اختلفتا فى الأسباب . وقد كانت مشاركتهما فى هذا الأصل داعياً إلى تلقيب المعتزلة بالجهمية « لا لأنهم وافقوا الجهمية فى القدر ... ولكن لأن المعتزلة وافقوا الجهمية فى نفس الصفات عن الله ، ... ، ... ، وقد ألف البخارى والإمام أحمد كتابين فى الرد على الجهمية وعنيا بهما المعتزلة[4] »

فهل رأيت إلى هذا التشارك الذى حلل أن تدعى المعتزلة بالجهمية ؟ ذلك معناه أن الجهمية إن كانت من هذه « الطوائف الملحدة » فأنت مضطر إلى أن تعترف بأن المعتزلة من هذه الطوائف الملحدة كذلك . وهذا ما لا يسلم به الأديب الفاضل ، وما لم يقل به أحد

هذا ما أحببت أن أوجه هم الأديب الفاضل إليه ، وأرجو أن يتقبله بقبول حسن . على أنى قبل كل شىء وبعد كل شىء أشكر له صنيعه هذا شكراً جزيلاً .

السيد محمد الفزارى

(١) الشهرستانى ج١ ص١٠٩ (٢) العقائد النسفية وحواشيها ص٤٥
(٣) العقائد (شرح الخيالى على السعد) ص٤٩ (٤) الفجر ص٣٤٣

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

٥٠٢ — ولكن لا نستطيع أن نتكلم

فى (العقد) : قال رجل لهشام بن الحكم : أنت تزعم أن الله فى فضله وكرمه وعدله كلفنا ما لا نطيقه ، ثم يعذبنا عليه . قال هشام : قد (والله) فعل ولكن لا نستطيع أن نتكلم[1]

٥٠٣ — ميمونة الزنجية تطيب بذلك

فى (الموشح) : قالت امرأة[2] لكثير عزة : أأنت كثير عزة ؟ قال : نعم . قالت : تبا لك ! أتعرف بامرأة[3] ؟ ! قال : وما يضيرنى من ذاك ؟ فوالله لقد رفع الله بها ذكرى ، ونشر فيها شعرى ، وأغزر بحرى . قالت : أفلست القائل :

فما روضة بالحزن طيبة الثرى
يمج الندى جثجاثها وعرارها[4]
بأطيب من أردان عزة موهناً
وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها[5]

قال : نعم ، قالت : فض الله فاك ! تالله ما رأيت شاعراً قط أقل عقلاً ولا أضعف وصفاً منك . أرأيت لو أن ميمونة الزنجية[6] بخرت بمندل رطب ، أما كانت تطيب ؟ ألا قلت كما قال سيدك :

(١) فى (أمالى المرتضى) : قال الجاحظ : قلت لأبى يعقوب الخريمى الشاعر : من خلق المعاصى ؟ قال : الله ، قلت : فمن عذب عليها ؟ قال : الله ، قلت : فلم ؟ قال : لا أدرى والله

(٢) هى قطام صاحبة ابن ملجم

(٣) عرفته بزيد كنونك سميته بزيد (اللسان)

(٤) الحزن: حزن بنى يربوع وهو قف غليظ مسيرة ثلاث ليال فى مثلهما. والحزن المكان الغليظ ، وهو الخشن ، والروض فى الحزونة أحسن منه فى السهولة (اللسان الأساس) الجثجاث ريحانة طيبة الريح برية من أحرار البقل. العرار: البهار (النرجس) البرى وهو حسن الصفرة طيب الريح (الكامل)

(٥) أتيته وهنا وموهنا : بعد ساعة من الليل (الأساس) المندل أجود العود

(٦) الزنج : بفتح الزاى وكسرها

ألم ترياني كلما جئت طارقاً
وجدت بها طيباً وإن لم تَطيَّب[١]

فانصرف كثير وهو يقول :

الحق أبلج لا يُخيلُ سبيله والحقُّ يعرفه ذوو الأحلام[٢]

٥٠٤ — ضحكت على لحيته

في (طوق الحمامة) لابن حزم : كان لسعيد بن منذر بن سعيد صاحب الصلاة في جامع قرطبة (أيام الحكم المستنصر بالله) جارية يحبها حباً شديداً ، فعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فقالت له ساخرة به — وكان عظيم اللحية — : إن لحيتك أستبشع عظمها فإن حذفت منها كان ما ترغبه . فأعمل الجلمين فيها حتى لطفت ، ثم دعا بجماعة شهود ، وأشهدهم على عتقها ثم خطبها إلى نفسه فلم ترض به . وكان في جملة من حضر أخوه حكم بن منذر فقال لمن حضر : أعرض عليها أني أخطبها أنا ، ففعل ، فأجابت إليه فتزوجها في ذلك المجلس بعينه ، ورضي (سعيد) بهذا العار الفادح على ورعه ونسكه واجتهاده ...

٥٠٥ — لا يحتاجون الى هذا منك

صلى الأعمش[٣] في مسجد قوم فأطال بهم الإمام . فلما فرغ قال له : يا هذا ، لا تطل صلاتك ؛ فإنه يكون خلفك ذو الحاجة والكبير والضعيف

قال الإمام : « وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين[٤] »

فقال له الأعمش : أنا رسول الخاشعين إليك ، لا يحتاجون إلى هذا منك

٥٠٦ — فبم تدخل الجنة اذن ؟

في (تاريخ بغداد) : قال بشير[٥] بن الخصاصيّة : أتيت النبي

(١) امرؤ القيس

(٢) يخيل : أخال عليه الشيء : اشتبه وأشكل (الأساس)

(٣) أبو محمد سليمان بن مهران توفي في سنة ١٤٨

(٤) (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) لكبيرة : لشاقة ثقيلة من قولك : كبر على هذا الأمر . الخشوع : الأخبات (الخضوع) والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة (الكشاف) خشع في صلاته ودعائه أقبل بقلبه على ذلك (المصباح)

(٥) بشير بن معبد بن شراحيل ، وكان اسمه زحم فسماه رسول الله بشيراً ، شهد فتح المدائن وحمل الخمس إلى حضرة أمير المؤمنين عمر (ابن الخطيب)

(صلى الله عليه وسلم) لأبايعه ، فقلت : علام تبايعني يا رسول الله ؟ فمد يده ثم قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وتصلي الصلوات الخمس المكتوبة لوقتها ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، وتجاهد في سبيل الله

فقلت : يا رسول الله ، كُلاً أطيق إلا اثنتين : أما الزكاة فما لي إلا حمولة[١] أهلي وما يقوون به ، وأما الجهاد فإني رجل جبان فأخاف أن تجشع[٢] نفسي فأبوء بغضب[٣] من الله

فقبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يده ، ثم قال : يا بشير ، لا جهاد ولا صدقة ، فبم تدخل الجنة إذن ؟

قلت : يا رسول الله ، أبسط يدك أبايعك ، فبايعته عليهن

٥٠٧ — وبعثنا اليك بك

في (سمط اللآلي) : أهدى شاعر نرجساً إلى غادة اسمها نرجس ، وكتب مع الهدية :

كنت أبغيك في البسا تين شوقاً لرؤيتك
فإذا نرجس ينا دي بلفظ كلفظتك
أنا شبه لمن هويـ ت فخذني لبغيتك
فجنيناك ناضراً وبعثنا إليك بك

٥٠٨ — لأجل قوة المعاني وجزالة الألفاظ

في (مفاتيح الغيب) للرازي : (أتدعون بعلاً ، وتذرون أحسن الخالقين) كان الملقب بالرشيد[٤] الكاتب يقول : لو قيل أتدعون بعلاً ، وتدعون أحسن الخالقين ، أوهم أنه أحسن لأنه كان قد تحصل فيه رعاية معنى التحسين . وجوابه أن فصاحة القرآن ليست لأجل رعاية هذه التكاليف بل لأجل قوة المعاني وجزالة الألفاظ

(١) الحمولة : كل ما احتمل عليه الحي من بعير أو غيره سواء كانت عليها أثقال أو لم تكن ، يكون ذلك للواحد فما فوقه ، وفعول تدخله الهاء إذا كان بمعنى مفعول به

(٢) تجشع : تفزع ، تجزع . والجشع جبن وحرص . والجشع أسوأ الحرص

(٣) باء فلان بغضب من الله : من قولك باء فلان بفلان إذا كان حقيقا بأن يقتل به لمساواته له ومكافأته ، أي صار حقيقا بغضبه (الكشاف)

(٤) الرشيد أو رشيد الدين هو (الوطواط) وكم لقن الملقب بالبديع من هالك وصريع ، ولا يؤثر الظلام والفطش على الضياء الباهر إلا الوطواط إلا الوطاويط ، والشمس حرب الأجهر

حينما تهجعين يا ملاكى ...

« نجوى حنين عاودنى بين
دخان الغضب والملال ! »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

حينما تهجعين فى مهدك الطا ... هر والسحر متعب فى جفونك
حينما تسلمين قلبك للأحلا ... م والفجر ذاهل فى سكونك
حينما تطرحين شعرك فى الديـ ... ـباج لحناً مبعثراً من شجونك
حينما تغمضين عينيك للنو ... م على جذوة ذكت من حنينك
حينما يصبح المهاد خميلا ... فى ربى الخلد زهره فى يمينك
حينما يسبل الإله على وجـ ... ـهك ستراً يصون طهر جبينك
حينما تسجد الملائك حوليـ ... ـك حياء وهيبة من فتونك
حينما تسهر الغيوب لترعى ... صلوات النجوم حول عيونك
حينما تنفضين عنك أسى الدنـ ... ـيا وتنسين نارها فى أنينك
حينما تصبحين شبابة الفجـ ... ـر وعمرى يطوف حول رنينك
حينما تسبحين فى كونك الما ... لى وروحى معلق بسفينك
حينما يا نبية الحب تنفيـ ... ـن وأغدو عبادة فى يقينك

... ...

لو تسمعت خافقى فى دجى الليـ ... ـل وشكوى جراحه فى سكونك
لرأيت النداة طيراً شقياً ... أقصت الريح عشه عن غصونك
شارد فى رباك لا جاده الظـ ... ـل ولا جرحه ارتوى من معينك

(القاهرة) محمود حسن اسماعيل

أنا ...

للأستاذ فؤاد بليبل

أنا من أنا ؟ ... يا للتعا ... سة من أنا ؟ شبح الشقاء !
بل زهرة فواحة ... عبثت بها أيدى القضاء
عند الصباح تفتحت ... وذوت ولم يأت المساء
وطغى الفناء على الشبا ... ب فناله قبل الفناء

* * *

بالأمس كانت ملعب الـ ... ـعصفور فى ذاك العراء
يشفى العليل أريجها ... وبهاؤها يحيى الرجاء
بسامة لم تدر ما ... معنى السآمة والعناء
واليوم باتت يا لتعـ ... ـس نصيبها ! هدف البلاء
قد حولوا عنها الغديـ ... ـر فلا خرير ولا رواء
فذوت على أكمامها ... عطشاً وبعثرها الهواء

« دار الأهرام » فؤاد بليبل

النهـــر المتجمد

للأستاذ ميخائيل نعيمة

يا نهر هل نضبت ميا ... هك فانقطعت عن الخرير ؟
أم قد هرمت وخار عز ... مك فانثنيت عن المسير ؟

بالأمس كنت مرنماً ... بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا وما ... فيها أحاديث الدهور

بالأمس كنت تسير لا ... تخشى الموانع فى الطريق
واليوم قد هبطت عليـ ... ـك سكينة اللحد العميق

بالأمس كنت إذا أتيـ ... ـتك باكياً سليتنى
واليوم صرت إذا أتيـ ... ـتك ضاحكاً أبكيتنى

بالأمس كنت إذا سمعـ ... ـت تنهدى وتوجعى
تبكى ، وها أبكى أنا ... وحدى ولا تبكى معى

ما هذه الأكفان ؟ أم ... هذى قيود من جليد
قد كبلتك وذللتـ ... ـك بها يد البرد الشديد ؟

ها حولك الصفصاف لا ... ورق عليه ولا جمال
يجثو كئيباً كلما مرت ... به ريح الشمال

والحور يندب فوق رأ ... سك ناثراً أغصانه
لا يسرح الحسون فيـ ... ـه مردداً ألحانه

تأتيه أسراب من الفر ... بان تنعق فى الفضا
فكأنها ترثى شباباً من ... حياتك قد مضى

وكأنها بنعيبها عند الصباح وفى المساء
جوف يشيّع جسمك الصافى إلى دار البقاء

لكن سينصرف الشتا ... وتعود أيام الربيع
فتفك جسمك من عقا ... ل مكّنته يد الصقيع

وتكرّ موجتك النقيّـ ... ـة حرّة نحو البحار
حُبلى بأسرار الدجى ... سكرى بأنوار النهار

وتعود تبسم إذ يلا ... طف وجهك الصافى النسيم
وتعود تسبح فى ميا ... هك أنجم الليل البَهيم

والبدر يبسط من سما ... ء عليك ستراً من لجين
والشمس تستر بالأزاهر ... منكبيك العاريَيْن

والحور ينسى ما اعتراه ... من المصائب والمحن
ويعود يشمخ أنفه ... ويميس مخضرّ الفَنَن

وتعود للصفصاف بعـ ... ـد الشيب أيام الشباب
فيغرّد الحسون فوق غصونه ... بدل الغراب

قد كان لى يا نهر قلـ ... ـب ضاحك مثل المروج
حرٌّ كقلبك فيه أهـ ... ـواء وآمال تموج

قد كان يضحى غير ما ... يمسى ولا يشكو الملل
واليوم قد جمدت كوجـ ... ـهك فيه أمواج الأمل

فتساوتِ الأيام فيه ... صباحها ومساؤها
وتوازنت فيه الحياة ... نعيمها وشقاؤها

سيّان فيه غدا الربيع ... مع الخريف أو الشتاء
سيان نوح البائسيـ ... ـن وضحك أبناء الصفاء

نَبَذَتْهُ ضوضاء الحيا ... ة فمال عنها وانفرَد
وغدا جماداً لا يحنّ ... ولا يميل إلى أحد

وغدا غريباً بين قو ... مٍ كانَ قبلاً منهمُ
وغدوتُ بين الناس لغـ ... ـزاً فيه لغز مُبهم

يا نهر، ذا قلبى، أرا ... ه كما أراك مكبّلا
والفرق أنك سوف تنـ ... ـشط من عقالك، وهو لا

ميخائيل نعيمة

ابنتى كوثر

للأديب محمود الهامى

أشهى إلى نفسى وأرضى لها ... إذا تمنت غالياً كوثر
صغيرة لم يسر فى طبعها ... لؤم ولم يعلق بها منكر
فتانة الدّل إذا ضوحكت ... خلت المنى من ثغرها تنثر
نبع من الإشفاق يروى صدى ... نفس بأنواع الأسى تزخر
وطائر فى السمع تغريده ... لا العود يشأوه ولا المزهر
يشدو فيشدو القلب فى إثره ... ألحان صفو طيبها يسحر
إن كان لى فى العمر من فرحة ... فهى لعمرى الفرح الأكبر

كل أمانيها وأحلامها ... عطف إذا داعبتها يغمر
والمال، أغلى المال فى زعمها ... من دُمية تلهو بها، أحقر
يا ويح من يشقى به إنه ... بكل خزى سافر يعبر

يحنو عليها وهى فى لهوها ... قلب بزخّار الأسى يقطر
يخشى عليها بعض ما راعه ... من قسوة الدهر وما يستر
والدهر لا يرحم أبناءه ... يا ويل من فى صخره يعثر
كم هدّ من ركن أشم الذرى ... وراح من أسد الشرى يسخر

يا زينة الدار ولألاءها ... وجنة يجرى بها الكوثر
إنى لأرجو أن تكونى غداً ... مبينة يزهو بك المنبر
وثابة للمجد لا تنثنى ... لا تعرف الختل ولا تغدر
من اللوانى عند ذكر الحجى ... والرأى فالوادى بها يفخر

محمود الهامى



دراسات فى الفن :

خمسة أيام طاهرة

بين الفن والاسكندرية

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

ليتنى ما جئت القاهرة . بل أحمد الله لأنى جئت . وأستغفرك اللهم إذ تمنيت غير ما كان من إرادتك . فقد رأيت القاهرة لوثتنى ونسيت أنها علمتنى ، وقد حننت إلى الإسكندرية التى دللتنى ونسيت أنها خلبتنى . وهأنذا أعيش فى القاهرة راضياً ، وها أنت ذا يارحمن تأذن لنا أن نجتمع بين يديك يوماً أو أياماً كما شئت فلا تحرمنى من الإسكندرية يارب كما يسرتها لأستاذى أحمد الشايب يارب !

عجيبة الإسكندرية ! ولست أدرى إذا كنت أحبها لأنها بلدي ، أو أنى أحبها لأنها الإسكندرية . ولكنى أشعر وأومن بأنها أقرب إليك ...

وشتان ما بينها وبين القاهرة .

* * *

عند ما يريد أهل الإسكندرية أن يسبوا واحداً منهم أو من غيرهم يعيرونه بأنه « سايع » وهو عندهم من لا يعمل عملاً شريفاً يأكل منه

وعند ما يريد أهل القاهرة أن يمدحوا واحداً منهم أو من غيرهم ويعظموه ، يصفونه بأنه « وجيه » ويتممون عليه رتبة « البيكوية » من عندهم . والوجيه فى القاهرة هو من لا يعمل عملاً مطلقاً ويأكل ويشرب من حيث يعلم الله ، و « البيك » فيها هو هذا الوجيه نفسه ، أو ذاك الموظف فى الحكومة الذى ينفق فى الخلاعة مرتبه وزيادة تأتيه من حيث يعلم الله

وأهل الإسكندرية لا يصفون إنساناً بأنه « سايع » ويعدلون بهذا الوصف عن الحق إلا إذا تهاجوا ، وفى التهاجى عداوة ، والعداوة نكد ، والنكد ضرر ، فالعدول عن الحق فى الإسكندرية ضرر فيه شر

وأهل القاهرة قد يصدقون حين يصفون إنساناً بأنه « وجيه أو بيك » ، ولكنهم غالباً ما يصفون بهذين الوصفين أناساً ليسوا أهلاً لها فيعدلون بذلك عن الحق ، ويصيبهمْ من هذا رضاء موصوفيهم ، وعند مايرضى الإنسان يجود على الذى أرضاه ووصفه بغير الحق ، فالعدول عن الحق فى القاهرة نفع فيه خير

والذى يتجول فى أحياء الاسكندرية لا فى القاهرة المصطافة المتهتكة عند الشاطئ ، لا يفتأ يسمع كلمة « صايع » تردد مع خطاه . فالخلاف على الرزق فى الاسكندرية كثير بحكم أنها بلد صيد وبيع وشراء وكفاح ، ولكن هذا الخلاف صريح مكشوف لأنه نما وترعرع مع الأجيال ، والخلاف لا يمكن أن ينمو وأن يتضخم وأن يظل مع نموه وتضخمه مكتوماً مستوراً ، فإذا انكشف لم يكن غير معركة ، والناس لا يستطيعون أن يتماركوا ليلاً ونهاراً ، فهم يعدلون عن العراك أحياناً إلى السب والتعيير ، فإذا كثر سبهم بوصف من الأوصاف ، كان ذلك دليلاً على أن هذا الوصف هو أبلغ السب عندهم ، وأبلغ السب يكون بنعت المشتوم بأقبح النعوت فى رأى الجمهور وأكره ما يكرهون ، « فالصياعة » إذن هى أكره ما يكره أهل الأسكندرية وضدها هو أحب ما يحبونه ، وهو أن يكون الإنسان عاملاً

والعمل فى الأسكندرية بطولة . لأن الناس محتاجون إليه فهم

يقظون، عيونهم مفتحة، متصارعون عليه فى لهفة واستماتة وإجادة، فإنه إذا لم يكن العامل قوياً خر فى الميدان. وهذه البطولة لها قيود كان لا بد منها لأمان المجتمع، فإنها لو تحررت يسعى إليها كل إنسان بطريقته هو فاستباح بعض الناس الحرام، وأكلوا جهود غيرهم. وكل مجتمع تكونه الطبيعة يصنع قوانينه وقيوده بنفسه لأنها من أسباب حياته، ويحرص كل الحرص على صيانتها، ويثور كل الثورة على من يهم بخدشها. وقيود البطولة فى الأسكندرية هى القوة الصريحة فى العمل الجد.

فإذا انحدرنا إلى القاهرة سمعنا رتبة « البيك »، والوصف بالوجاهة ينعم بهما على كل من هب ودب حتى نحن. ومعنى هذا أن أهل القاهرة جميعاً يحبون أن يكونوا « بكوات » ووجهاء هكذا ويأكلون ويشربون من حيث يعلم الله ولا يعلم الناس. وهم فى هذا كما يكره أهل الأسكندرية أن يكون الواحد منهم هكذا

وهذه حال تستلزم أن تنتزع لها من الطبيعة قوانين تصونها، كما أنها تستلزم أن يكافح الجوع من أجلها، وأن يقاوم الخارج عليها الذى يهم بخدشها، والقانون الذى تلزمه الطبيعة فى هذه الحال هو قانون « الستر » ما دام الناس لا يريدون أن يعلم غير الله من أين يأكلون ويشربون. و« الستر »، و« التستر »، و« الستائر » جميعاً تخفى وراءها ما لا يعلمه أيضاً إلا الله. وقد يعلم الناس منه الكذب والغش.

وأهل القاهرة يسترون هذا التلوث الخلقى لأنهم يسترون كل شىء، حتى أنفسهم يستروها عن عيونهم.

فالكذب إذا حدث فى الإسكندرية حاربه أهلها، وإذا كان فى القاهرة حاباه أهلها. وهكذا يسرى الكذب فى القاهرة حتى يتغلغل فى حياتها إلى أن يركب الفن ... الفن المطية من الله. إذا ادعاها فى الإسكندرية مدع قتلته الإسكندرية، فإذا ادعاها فى القاهرة مدع سترته القاهرة

وقد يصبر أهل الإسكندرية على مدع فى غير الفن، ولكن هذا الذى يتلف عليهم الوقت الذى يطلبون فيه متعتهم الروحية التى يشترونها بدمائهم ويكدحون طول النهار لها، هذا المدعى يضربه أهل الإسكندرية ضرباً بالأيدى وبالأرجل وبالكراسى وبالزجاجات الفارغة وهم يصيحون: « هاتوا فلوسنا »!

ومع هذا العنف فى طلب الحق فإن فى أهل الإسكندرية عيباً عجيباً هو أنهم يلينون لكل ما يجىء من القاهرة سواء أكان فناً أم غير فن، لا يفتحون عيونهم عليه، ولا يحاولون التفرس فيه وانتقاده، لا لشىء إلا أنه من العاصمة وأنهم لا يظنون بالعاصمة إلا خيراً، فلا يمكن أن يتصوروها أقل منهم فراسة وصدق نظر! وإلا فلماذا كانت القاهرة العاصمة؟ ليس من شك فى أن الله جزى القاهرة ستراً بستر، إذ خيل لأهل الإسكندرية أنها ما استحقت أن تكون العاصمة إلا لأنها جديرة بأن تكونها.. ولولا هذه العقيدة لزحفت الإسكندرية على القاهرة ...

صحيح! هذا هو إحساس الإسكندرية وتفكيرها، فهذه الثقة المتسامية بالقاهرة هى وحدها التى تروج بضائعها فى الإسكندرية ومنها الفن. فإن لم يكن هذا فكيف ذاق سيد درويش الويل فى الإسكندرية حتى اعترفت به، وكيف هللت الإسكندرية وكبرت للأستاذ عبد اللطيف البنا عندما استجلبه لها متعهدو الحفلات من القاهرة؟ ... القاهرة العاصمة!

والفن عند أهل الإسكندرية قد يسرع إلى أن يكون حرفة لأنه موهبة، والمواهب عند العاملين رأس مال. ولا يمكن أن يحترف الفن فى الإسكندرية إلا الفنان الصادق، ومتى ظهر صدقه فى فنه وتمكنه منه، أقبل عليه الناس وشجعوه، ولكن إلى أن يظهر هذا الصدق، ويحوز رضاء أهل الإسكندرية، ثم يكون له بعد ذلك تعصبهم البلدى يذوق فنان الإسكندرية الأمرين من تقدهم القاسى الصريح الذى لا يمكن التغلب عليه إلا بعزم من فولاذ، وأكثر الناس تعرضاً لهذا النقد وهذا التهشيم هم أصحاب الفنون الجيلة، التى لا يأكلها الناس ولا يشربونها، فإذا لم تكن فنونهم إلهاماً من الله يهبط على الجمهور من خلال أرواحهم، فإن كل ما فيه من صنعة يتعرض للنقد، والصنعة ينفسح المجال فى نقدها للعالمين والجاهلين، ما دام الأمر فى النقد راجعاً إلى المنطق والحجج والبراهين والكلام، وما دام الأمر فى هذا كله راجعاً إلى وجهات النظر الفردية ... على العكس من إلهام الله وهو الحق الذى لا مراء فيه. والفن الملهم هو باعث الحق فى الحس، والناس إذا أحسوا الحق لم ينكروه إلا كما ينكر المحروق شىء النار.

ومع أن الفن اللهم هـذا قد يسرع إلى أن يكون حرفة في الإسكندرية لإسراع الناس فيها إلى العمل والإنتاج بحكم الحاجة ، فإنه لم يكن إلى اليوم فيها تجارة مثلما أصبح في القاهرة على أيدي إخواننا السوريين الذين تأصلت فيهم طبيعة التجارة منذ كان أجدادهم الفينيقيون يحملون لواءها في العالم القديم ووجدوا في القاهرة المتسترة ميدانهم ... فأهل الإسكندرية صيادون يبيعون ما يجود الله به عليهم من سمك أو فن ، ولكنهم لا يستطيعون تلفيق السمك ولا يستطيعون تلفيق الفن ، كما أنهم لا يعرفون الإعلان عما عندهم إلا بعرضه ، كما أنهم لا يوقتون مواسمه ولا ينظمونه ، فالطبيعة هي التي توقته لهم وتنوعه ، فأيام الصفاء لها سمك ولها فن ، وأيام النوء لها سمك آخر ولها فن آخر. وما أكثر تقلبات البحر الذي يجود بالسمك ! وما أكثر تقلبات الحياة التي تجود بالفن ! وما أكثر تلون الصروف التي تجود بما بين السمك والفن ...

أما القاهرة فكان من نتائج الاتجار بالفن فيها أن أصبح له أسواق منها شارع عماد الدين ، كما أن للخردوات فيها أسواقاً منها شارع الموسكي . والأسواق يتسلل إليها السماسرة ، ومتى دخل السماسرة دخل الزيف والبهرج اللذان لا صلة لهما بالفن وإن كانت لهما صلة بما هو دونه

هذا هو ما يختص بظهور الفن في كل من الإسكندرية والقاهرة ... فما هي طبيعة فن الإسكندرية ، وما هي طبيعة فن القاهرة ؟

طبع الفن في الإسكندرية يشبه طبعها ، وطبع الفن في القاهرة يشبه طبعها ، وأصدق الفن في الإسكندرية ما كان صدقاً ، وأصدق الفن في القاهرة ما كان غشاً وكذباً !

الإسكندرية تعاشر البحر في كنف الصحراء ... وكل منهما مكشوف . وفيها منهما . والقاهرة يحتضنها جبل أغبر ليته ما كان فانطلقت صحراوية خالصة ، وانكشف عنها هذا الرجم الثقيل الجاثم على صدرها وعينيها ... فربما كانت تسمع وترى وتعي ! ...

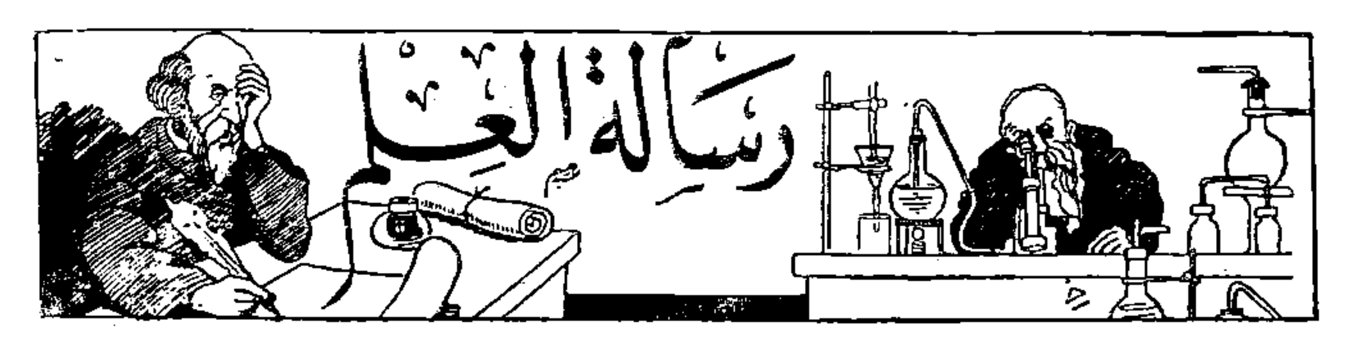
لقد طبع البحر الإسكندرية وأهلها وفنها . فالأدب فيها تقد عنيف قاس يشبه أن يكون إعصاراً ، فإذا رق فهو إخلاص البحر واستسلامه على جبروته وعظمته ، والموسيقى فيها صفاء وصدق ما هدأت أو ثارت . والرسم فيها هو هذه الصور التي تعرض البحر وطيره وسمكه ، والصيد ومراكبه ورجاله ، وهي التي ترى فيها من نشاط الإسكندرية وتوثبها ما يميزها من غيرها ...

وفن الإسكندرية فيه من روح أوربا أنقاها لا البراق الباطل منها ، وذلك لاختلاط المصريين فيها بالأجانب اختلاطاً لا يشبهه اختلاطهم بهم في القاهرة ، فالأجانب في القاهرة يكادون يعيشون في أحياء خاصة ، فيها بيوتهم ومتاجرهم وملاهيهم ، أما في الإسكندرية فهم منبثون في أنحائها جميعاً يتخللون الوطنيين ، ويباشرونهم كأنهم منهم ، وقد لا يشعر الأجنبي في الإسكندرية بالغربة ، كما أن الوطني لا يشعر فيها بغرابة الأجنبي ، وهذا راجع إلى أن الإسكندرية تصبغ سكانها جميعاً بصبغتها ، وأنها تعدهم جميعاً لنوع واحد من الحياة يتعاون فيه سكانها . وقد يعجب القارئ إذا قلت له إني سمعت روميا يلعن روميا آخر ويلعن الباخرة التي قذفت به في بر مصر ، وهـذا لا يمكن أن يصدر إلا من وطني يغار على بلده ولا يريد أن ينهال عليها إلا من هو جدير بالحياة فيها ، ولا يحابي في هذا من كان من وطنه الأول أو من كان من أهل البلاد نفسها . والأجانب في الإسكندرية كثيرون ، وهم كما يعطونها أرواحهم يعطونها تفكيرهم ، وإحساسهم ، فيأخذ عنهم الوطنيون ألواناً من أساليب العرض الفني ، كما يتعلمون منهم أشياء رقت بهم على المصريين وجودت فنونهم

هذا هو فن الإسكندرية

وأما فن القاهرة فأستره إرضاء للقاهرة .

عزيز أحمد فهمي



فلنستمر

خواطر الحرب — صوت العلم بين صليل السيوف ودوى المدافع — استكناه الذرة وقضية الألكترونات — جحافل العلم فى ميدان التجارب — قصة مليكان — إذا عمت السكينة .

للدكتور محمد محمود غالى

كنا نتابع قصة الخليقة ونذكر عمل الإنسان، ونستعرض الخطوات الكبرى التى تمت فى السنوات الخمسين الأخيرة، وبدأنا هذا العمل فى يناير الماضى بدء العام السابع للرسالة، وما نعدُّ أنفسنا إلا فى منتصف الطريق، مهمتنا أن نعرض على القارىء صوراً من المراحل المختلفة التى بلغتها العلوم، تلك المراحل التى فتحت مجال الذهن وفتقت حواشيه وحولت التفاتاته إلى الناحية التى جعلت من الإنسان على مَرّ الأيام أنموذجاً أرق ومثالاً أكمل . وقد تابع مقالاتنا هذه عدد غفير من القراء ما زالت تردنا رسائلهم من كل صوب .

وبينا نحن نتابع عملنا إذا بالعالم يُفاجأ بما يُغير مسرى الحياة الفكرية فيه، ويحولها من طريقها إلى آخر تكتنفه الآلام والمصائب، فمن اطمئنان وسلام، إلى حرب واصطدام، أكثر ما يُروِّعنى فيهما أن يُقضى خلالها على الملايين من الأبرياء، وأن تهدم أسس الحضارة وتُدكّ صروح المدنية، ولكن هذا التغيير فى حالة العالم لم يك لِيُقعِدنى عن مهمتى فى الكتابة ويصدّنى عن غرضى فى التأليف؛ فإن النفوس الواجمة من شبح حرب مروعة، والأفكار المضطربة من صراع عنيف فى حاجة من وقت إلى آخر أن نرفه عنها، ونعمد إلى تهدئتها وبث روح السكينة فيها . لذلك أخذت على عاتقى أن أستمر فى مهمتى العلمية حتى أساهم فى الساعات التى أعطيها كل أسبوع لقراء الرسالة فى دفع كابوس الحرب الجاثم على العالم فى هذه الآونة .

* * *

لعل القارىء يشعر معنا أن نغمات حزينة تتجاوب أصداؤها الآن فى آذان العالم نرى لزاماً علينا إبعاد الأذهان عنها، وأن فكرة تحمل فى طياتها الدمار والخراب وتغيير معالم الحضارة والعمران تسرى الآن سريان النار فى الهشيم، نرى لزاماً علينا أن ندفعها بكل عناية وأن نحطمها بكل قوة

إن الظلام حالك مدلهم، والنجوم تنشر فى الفضاء وتعلأه، والمشترى والمريخ يطلان علينا من علياء السماء، وكأن ما بهما من مخلوقات فرضية تشاهد مأساة الإنسان التى بدأت تعرض دورها فى ثالث الكواكب فتعجب لها ولا تقف على الغرض منها . ألا بئس الطمع وشر ما يجلب! ألأن بعض شروط من معاهدة وضعها نفر من الساسة منذ عشرين عاماً ولا يريد هذا النفر تغييرها، ولأن هذه لا تروق لبعض الزعماء تقع شعوب الأرض فى حرب ضروس؟ ألأن لقطر أشباراً من الأرض فى قطر آخر تمتشق الأمم الحسام وتأبى التفاهم ويحمل الطيارون وسائل التهلكة وتتخيَّر الناس حد الظُّبى فاصل إشكالها، ونُساق إلى حيث لا نعرف المصير؟

ولو أنه يتأتى من هذا أنه يصبح فى العالم خلف خيراً من السلف، لو أننا مسوقون حقاً إلى هدف أسمى يستجلى منه الإنسان عهداً أرقى فى الحضارة وأبقى فى العدالة وأعظم فى التقدم، عهداً لم يعهده من قبل — لوجدنا أن الخير كل الخير فى حمل السلاح وطارح الراحة، ولطاب لكل إنسان أن ينقلب مجاهداً بين المجاهدين .

أما والبشر يتقاتلون لغير غاية مفهومة ، أو مأرب معقول ، فكل ما نتمناه أن تنحصر الكارثة وألا تطول هذه المحنة ، وأن يتغلب حكم العقل على الهوى ويعود السلام فيرفرف على الربوع والأمصار من جديد ، ونرى العلماء يتفرغون لاكتشافاتهم العلمية المجيدة ومباحثهم اللانهائية وتصبح المختبرات مخابر سلم ووسيلة للتعمير لا للتخريب

هذا السلام لبنى الإنسان طرًّا ، للفقير قبل الغنى، للضعيف قبل القوى، هو أمنيتنا وله نعمل من قلوبنا، وها نحن أولاء نرقب عودة عهد هدوء العالم ورفاهيته ونتم للقراء قصة العلوم ففيها القسم الإيجابى من حظ البشر ، أما القسم السلبى الذى يشغل الآن رجال الحرب ويندفع إليه فريق من بنى الإنسان فهو ما سيأسف له العقلاء فى النهاية .

وبراً بما وعدنا نعود الآن إلى الكتابة فى الموضوعات التى سرنا فيها شوطاً فليس أحب إلى نفوسنا من المضى فى سرد قصص العلم والعلماء وفى تبسيط أهم ما وصل إليه الإنسان المفكر من اكتشاف واختراع ، ذلك لأن أسعد الساعات عندنا هى تلك التى نسطر فيها مفاخر الإنسان العاقل الدارس ، وأعمال الرجل الكاشف العالم . فهيا بالقارئ خطوة أخرى إلى الأمام نزيده فيها كلمة يخلُقُ بنا أن ندعوها باسم العالم الذى هو بطلها فندعوها قصة « مليكان » A. Millikan

* * *

تكلمنا فى مقالنا السابق عن الألكترون أصغر جزىء فى الكهرباء أو وحدة الكهرباء السالبة وزميله البوزيتون الوحدة الموجبة ، وهما الشقيقان اللذان يلعبان دوراً هاماً فى معارفنا الكهربائية بل يتصلان اتصالاً وثيقاً بمعرفتنا عن المادة وكل ما هو كائن، فالألكترون هذا المهاجر الحائر، نعرفه فى المادة على أشكالها الثلاثة الغازية والسائلة والصلبة، فذرة غاز الهيدروجين وهو أخف ما نعرفه من العناصر تحوى نواة وسطى كالشمس يدور حولها إلكترون واحد وتتميز به عن سائر العناصر وذرة الماء مكونة من ذرتين من الهيدروجين السابق الذكر وذرة واحدة من غاز الأكسيجين ، وهذه الذرة الأخيرة مكونة من نواة وسطى يدور حولها ثمانية إلكترونات وذرة الأورانيوم أثقل العناصر ذلك العنصر الصلب المشع الذى كان حجر الزاوية فى اكتشاف عنصر الراديوم العجيب تتركب من عدة شموس يدور حول كل منها عدد معين من الألكترونات ، ويبلغ مجموع إلكترونات هذه الذرة اثنين وتسعين الكترونا أى أكثر من ضعف ما يدور حول شمسنا من كواكب وأقمار[1] ، فهى مهما بلغت من الصغر عالم يتعين بعدد من الشموس وعدد من السيارات التى تجرى فى أفلاكها وتشبه عالمنا الشمسى ، وما اختلاف العناصر إلا فى اختلاف عدد الألكترونات التى تدور حول شموسها ، واختلاف المسافات التى تبتعد بها هذه الألكترونات عن الشموس ، بحيث يعدّ هدم النواة الوسطى ، وطرد بعض الألكترونات المحيطة بها تحولاً فى المادة وانتقالاً من عنصر إلى عنصر آخر يتعين بالعدد الجديد من هذه الألكترونات السابحة ، وهذا ما استطاعه العلماء أخيراً يتقدمهم « رذرفورد » المتوفى منذ عامين فى انجلترا ، والدوق موريس دى بروى فى فرنسا ، وبرايش فى ألمانيا ، والعالم الشاب فرمى فى إيطاليا . . . وهو ما سنتبسط فيه عندما نتكلم عن التفتت الذرى تحت تأثير الإشعاع .

وإذا كان هذا الألكترون أصغر ما نعرفه من مادة لها وجود مادى ، فهو أصغر ما نعرفه مما له وجود كهربائى ، فهو المكون الأول للكهرباء ، بل وجميع الألكترونات هى التى تحدث كل الظواهر الكهربائية التى أهم ما يعرفه الشخص غير المشتغل بهذه العلوم ظواهر الألكترونات المهاجرة التى قسمنا أنها تكون الأساس فى فن الراديو بل الأساس فى كل الكهرباء اللاسلكية منها ، والسلكية ، والتى يهاجر منها عند المخاطبات التلفونية أو الإذاعة اللاسلكية ملايين الملايين فى كل واحد على عشرة آلاف من الثانية . عندما تشترى من التاجر بضعة أمتار من

(١) يدور حول الشمس تسعة سيارات غير السيرات أو الكويكبات وهى بترتيب قربها إلى الشمس عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وإورانوس ونبتون وبلوتون ولهذه على حد معارف الفلكيين ٢٨ قمراً سبق أن فصلنا عدد ما يتبع كل سيار من أقمار فى مقال لنا بالرسالة — « أرض تدور وإنسان يحيا ويموت » عدد ٢٩٢ — ٦ فبراير سنة ١٩٣٩ ص ٢٧١

السلك لتوصيل جرس كهربائى فى مكتبك ، فإنك تشترى طريقاً صالحاً لهجرة بلايين البلايين من الموجودات الصغيرة التى أطلقنا عليها ألكترونات ، وهى التى شغل العالم مليكان بدراسة أحدها والتى تسرى فى السلك من طرف إلى طرف . وعندما تشترى من التاجر ذاته صماما — أى مصباحاً للراديو — من هذه المصابيح الخاصة التى منها الثلاثى الأقطاب « ترود » Triode أو خماسى الأقطاب بنتود Pintode والتى تتفنن الصناعة الحديثة فى تقديمها إليك بدل مصباح تالف ، فإنك تشترى فى الواقع مكاناً صالحاً لإحداث هذه الألكترونات التى تهاجر بين الكاثود Cathode القطب السالب والأنود Annode القطب الموجب بعدد لا يمكن أن يتصوره العقل .

* * *

ترى كيف يمكن العثور على جسيم مادى يعلق به أحد هذه الموجودات الدقيقة التى تعد أصغر ما نعرفه من الكون[1] ؟ كيف يتسنى لنا أن نستوثق من ذلك ؟ بل كيف يتسنى لنا أن نرفع ونخفض الجسيم الحامل لأحد هذه الألكترونات وفق إرادتنا ؟ وكيف نعلم علم اليقين أنه حامل ألكترونا طليقاً كما نعلم أن سيارة تنساب فى الشارع بسرعة عظيمة تحمل السائق ولا تحمل غيره من الركاب ؟

لقد أمكن للأستاذ الكبير مليكان Robert Andrews Millikan أن يقوم بتجارب دقيقة حصل فيها على ألكترون حر واحد، وتيقن فريق العلماء معه أن هذا الذى حصل عليه مليكان فى تجاربه هو ألكترون حر واحد . وسأشرح للقراء تجربة مليكان وهى مهمة أحاول تبسيطها للقارئ رغم صعوبتها . وأمامى الآن المذكرات العديدة التى نشرها الأستاذ مليكان ، وأهمها نشرته التى قدمها لمؤتمر عقد فى ويتبج Winnipeg فى أغسطس سنة ١٩٠٩ أى منذ ثلاثين عاماً ، والمذكرة الإضافية التى ظهرت

(١) قدمنا أن ذرة الهيدروجين تكبر الألكترون حوالى ألفى مرة ، وأنها مع ذلك من الصغر بحيث أن كرة من المعدن قطرها حوالى ١/٢ ٣ س . م تكبر ذرة الهيدروجين بقدر ما تكبر الكرة الأرضية هذه الكرة المعدنية الصغيرة

(٢) مجموعة للمجلة الفلسفية (Phil. mag. ١٩) فبراير سنة ١٩١٠ ص ٢٠٩

خلاصتها فى المجلة الطبيعية Physical Review عدد ديسمبر من نفس السنة ، ثم نشرته التى ظهرت فى السنة التى تليها فى الجريدة الفلسفية Philosophical Magasine . كذلك أمامى كتابه « الألكترون[1] » L'Electron . ولقد طالعنا هذه المذكرات فى سنة ١٩٢٨ عندما أتيحت لنا فرصة الاشتغال بالأبحاث الطبيعية فى معامل البحث بالسوربون بباريس ، وها أنذا أعيد مطالعتها كما أعيد مراجعة الكتاب المتقدم لنستطيع أن نحدث قراء (الرسالة) عن علم ، بوصف تجارب مليكان الخالدة ، تلك التجارب التى مهدت لها أعمال كثير من الباحثين أمثال تونسند Townsend[2] وولسون C. T. R. Wilson[3] وتومسون[4] J. J. Thomson وهم من أعلام مختبر كافاندش الشهير الذى يكون جزءاً من جامعة كامبردج المعروفة

وغنى عن البيان أننا سوف لا ننقل للقارئ خلاصة هذه النشرات العديدة التى برزت فى تاريخ المعارف والتى عدها الكثير من العارفين خطوة موفقة من أكبر مفاخر العلم الحديث ، فليس المجال هنا أن نلخص مسائل علمية بعد الدخول فى تفاصيلها من الموضوعات الفنية التى لا تروق غير المختصين ، وإنما غايتنا أن نعرض على القارئ صورة سهلة واضحة هى تلك التى تبقى فى الذهن بعد طول المطالعة وتمثل حقيقة هذه الأسطورة التى تعد من أعظم ما نعرفه فى العلم التجريبى وتوضح هذه التجربة التى حاولنا إعادتها فى يوم لا زال عهدنا به قريباً .

* * *

وموعدى إذن مع القارئ الأسبوع القادم إذ احتاج إلى سبعة أيام لمراجعة أعمال هى عندى نتاج الإنسان الراقى لا عمل

(١) كتاب الألكترون L'Electron تأليف مليكان ، يجد القارئ النسخة الانجليزية فى معظم المكاتب الأوروبية والترجمة الفرنسية فى مجموعة أميل بورل Emile Borel الطابع فليكس ألكان Felix Alcan وموجودة فى مكاتب باريس والمكاتب المصرية والسورية

(٢) مذكراته للجمعية الفلسفية بكامبردج فى ٨ فبراير سنة ١٨٩٧ محاضر الجمعية الملكية Proceedings المجلد ٩ سنة ١٨٩٧ ص ٢٤٤

(٣) محاضر الجمعية الفلسفية بكامبردج Proc. Camb. Phil. Soc. المجلد التاسع سنة ١٨٩٧ ص ٣٣٣

(٤) المجلة الفلسفية Phil. mag. المجلد ٤٦ سنة ١٨٩٨ ص ٥٢٨

الإنسان المتوحش . ولَشدّ مايغلب على النفس نوع من الاطمئنان عند ما تسوقنا الكتب إلى أعمال هؤلاء الأعلام ، وثمة فارق كبير بين ما نستشعره فى أعماقنا حيال جهور ... وبين ما نلحظه فى مجهودات هؤلاء المتقاتلين ، مهما كان السبب الذى يتناضلون من أجله . ما أكثر تعاقب الحوادث هذه الأيام! كل أسبوع تدخل فيه أمة فى الحرب ، ويخيل إلىّ أن سبعة أيام نطالعه « مليكان » فترة طويلة فى هذا الزمن الكثير المفاجآت ، فإذا لم يفقنا عن عملنا ظرف مفاجئ؛ وإذا ظل السلام مخيماً على ربوع مصر والبلاد الشرقية ناشراً لواءه على ذلك المسكن الواقع فى هذه الجزيرة الهادئة بين النيلين ، وإذا ظل النيل السعيد بهذا البهاء أرصده من هذا المكان ، وظلت الدور هادئة كعهدنا بها ، وظلت السعادة ترفرف على الربوع ودامت لنا رؤية أطفالنا هاتين مرحين ، ولم تلجئنا الظروف إلى أن نبعث بهم إلى الريف البعيد - فأنى مُغْبِط أوقات فراغى هذا الأسبوع لقارئ الرسالة ، أحدثه فى المرة القادمة عن مكنون هذه النشرات ودخائل هذه الكتب ، وسر هذه الأسطورة العلمية ، وبذلك ربما فزت بأن أجمله يعجب بهؤلاء العلماء إعجابى بهم ويشيد مثى بذكرهم .

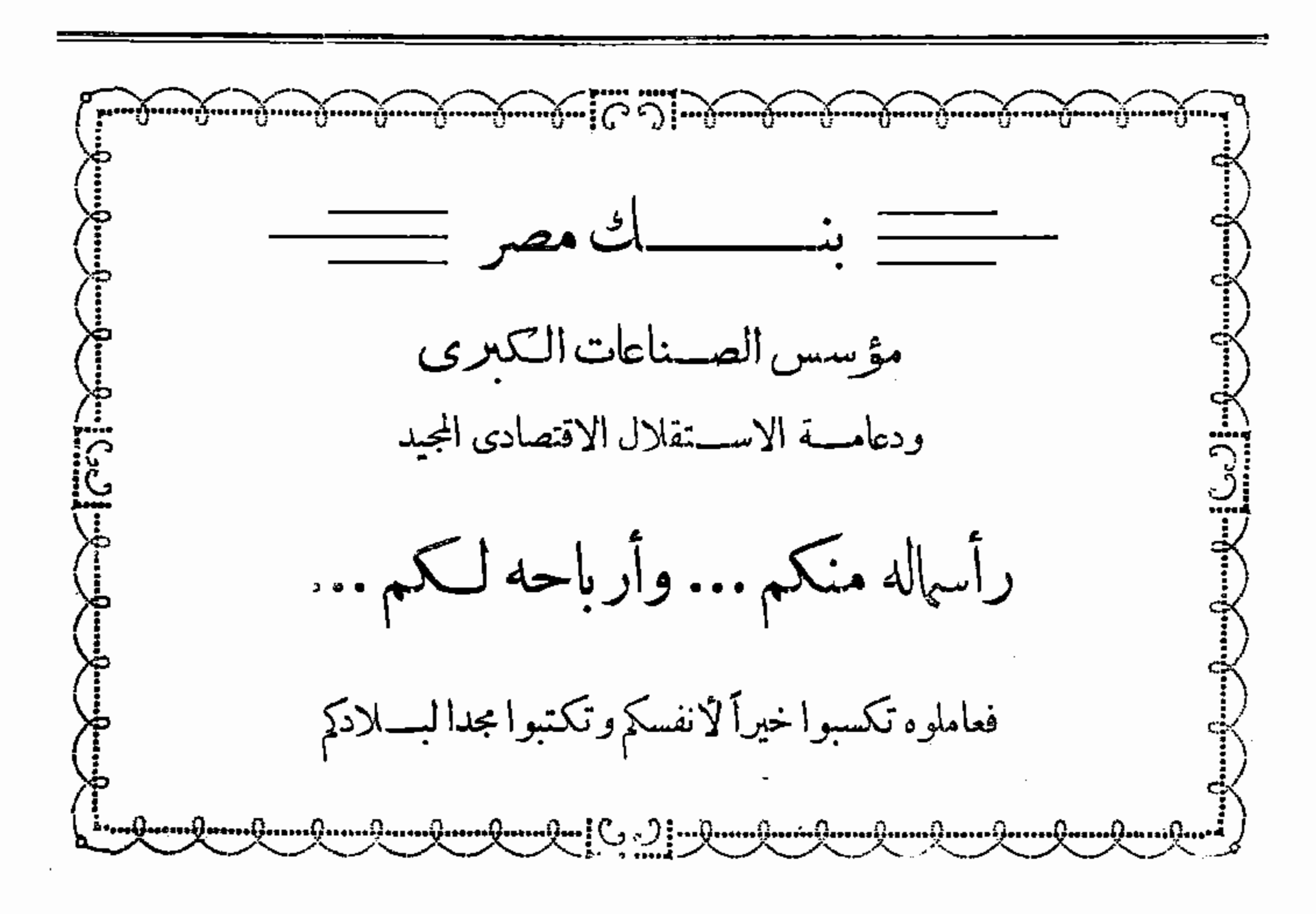
عند ما نطالع العمل المضنى الذى قام به هؤلاء الأعلام ونطالع بعد ذلك أخبار الفواجع التى تغمرنا بها الجرائد وتبعث بها إلينا محطات الإذاعة المختلفة أشعر براحة فى الأولى وامتعاض فى الثانية

فإلى العلوم هذه الأيام العصيبة تقص لك منها أحب سيرها لتزيد إيماننا وإيمانك بمستقبل الإنسانية ومبادئ السلام والعدل . وعسى ألا تفرّقنا الأيام ، فأظل أشتغل ، وأظل أكتب إليك .

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة



من هنا ومن هناك

حلم ألمانيا

[من « هاربرز مجازين »]

قال هتلر فى بعض أحاديثه : « إن ضربتى العاجلة ستكون كالنور ينتشر فى الظلام » . وقال جورنج وهو بصدد الفاخرة بالطيران الألمانى فى أزمة سبتمبر المنصرم : « أنتم معشر الألمان تعرفون أن قوة الطيران الألمانى التى لا تقهر أبداً كانت على أتم استعداد ، وكلة واحدة كانت كافية لإشعال مارج من النيران تبتلع خصومنا ، وما هى إلا ضربة عاجلة ، ولكنها ضربة قاضية لا تبقى منهم باقية » !

ولا شك أن ألمانيا وضعت آمالاً كبيرة فى طيرانها ، واغترت كثيراً بقوتها الحربية ، وقد آذن ذلك الغرور أن يلعب دوراً محزناً فى تاريخها ، على يد الريخ .

فقد وضع النازى كل همهم فى كسب حرب سريعة قاضية بواسطة الطيارات والمصفحات الحربية (تانكس) والغواصات

وهكذا يطلبون النصر المعجل فى تلك الحرب السريعة . وتبدأ هذه الحرب – كما يؤملون – بهجوم جوى عنيف تشترك فيه جميع قوات الطيران الألمانى والإيطالى واليابانى – إذا تيسر – على مواطن البحرية البريطانية والفرنسية فى مختلف الجهات ، حتى يدمر ذلك السلاح الذى يعطى الدولتين البحريتين السلطة والنفوذ فى العالم . وفى أثناء هذه الغارة الجوية تنتشر الغواصات الألمانية فى كل مكان ؛ ويعجل بالهجوم على المطارات البريطانية والفرنسية ، ومراكز القوة ، ومصانع الأسلحة ، والمواطن الآهلة بالسكان . ويتبع ذلك الغزو عن طريق الجو ، هجوم عنيف على الأراضى الفرنسية من الناحية البرية فى كل موضع وكل مكان

ولكن هل من الممكن أن يدمر أسطول حربى عظيم بواسطة الطيارات ؟ لقد برهنت التجارب الجديدة على أن المدافع المضادة للطيارات تقوم بعملها فى مطاردة الطيارات على أكمل وجه. وقد أرصدت انجلترا خمسين طراداً حربياً للمساعدة فى مكافحة الطيارات وليس لهذه الطرادات القوية عمل غير هذا العمل. على أن الأسطول البريطانى مجهز بقوة من سلاح الطيران معدة لحمايته فى كل وقت. فهل من المعقول أن تغرق جميع السفن البريطانية والفرنسية فى غزوة فجائية تنقذ ألمانيا ومن يماونها من ذلك الموقف الضعيف الذى يجرعها غصص اليأس ؟

إن قوة البحرية الألمانية ضعيفة جداً بالنسبة للقوتين الإنجليزية والفرنسية . فإذا قامت بمثل هذه التجربة فسترى أنها كانت واهمة ، وأن القوة البحرية ما زالت تلعب دورها التقليدى فى الحروب، وأن مركزها البحرى سينتهى إلى اليأس المحقق

لقد جربت تلك الغزوة الجوية فى برشلونه فى ١٦ مارس ١٩٣٨ فقد استمرت قوة الطيران الإيطالية الرابطة فى ما جوركه تلقى عليها وابلاً من القذائف ثلاثة أيام وثلاث ليال ، وكانت طياراتها تحمل أثقل أنواع القذائف وتلقى بها على تلك المدينة التى يسكنها مليونان من الأنفس ، فماذا كان تأثيرها ؟ لقد قتل فى تلك الغارة ثلثمائة نفس ، ولم تنقطع حركة العمل بالمدينة ، بل لقد ظلت دور السنما مفتوحة الأبواب للرائدين

فحلم ألمانيا بحرب جوية سريعة حلم خلاب ولكنه بعيد عن التحقيق

النازى وطبيعة المرأة

[من مجلة « تايدين » استوكهلم]

قبل أن يستولى النازى على زمام الأمور فى ألمانيا كان زعماؤه القائمون بالأمر الآن ، ونذكر منهم على سبيل المثال دكتور جوبلز يقولون : « إن المكان الوحيد للمرأة هو المنزل ، فقد خلقتها الطبيعة وأعدتها لحمل الأطفال والعناية بزوجها وبيتها » وذكر « ألفرد روزنبرج » فى الكتاب الذى أخرجه تحت عنوان : (خرافة القرن العشرين) حديثاً عن المرأة قال فيه : « إن نفوذ المرأة فى الدولة يحمل فى طياته أسباب سقوطها ، وكما أن اليهود فى أنحاء العالم يدعون إلى المساواة ، ولا هم لهم فى الحقيقة إلا جلب

النفعة لأنفسهم ، فالمرأة التى تطالب بالحرية لا تطلب المساواة فى الحقوق كما قد يتراءى ، ولكنها تنشد الصعود على ذمة الرجل . وفى اجتماع للنازى عام ١٩٣٤ قال هتلر نفسه فى حديث موجه إلى النساء والفتيات من حزبه : « إن الرجل عالمه الدولة والكفاح؛ أما المرأة فعالمها بيتها وأسرتها وأطفالها »

إلا أن هذه الكلمات وما تبعها من الأعمال لم يكن المقصود بها طبيعة المرأة ووظيفتها فى الحياة كما قد يبدو ، ولكنها كانت سياسة مرسومة لمحاربة البطالة ، إذ ما كادت تنصرم تلك الأيام حتى تغيرت الفكرة من الناحيتين النظرية والعملية فلم نعد نسمع أو نقرأ فى ألمانيا كلمة واحدة عن الأمومة وطبيعة المرأة

لقد كان النساء يفصلن من أعمالهن بالمئات فى المدة من سنة ١٩٣١ — ١٩٣٥ بغير رحمة ولا شفقة ، والآن أصبحنا نراهن يسقن إلى تلك الأعمال بالطريقة نفسها . فالنظرية القائمة فى ألمانيا الآن هى نظرية الحرب وحاجة الحرب ، فسواء كانت طبيعة المرأة تدعوها إلى ملازمة المنزل أولا ، فإن النظام القائم يدعو النساء إلى أن يحللن محل الرجال فى أعمالهم التى تخلو باستدعائهم إلى الأعمال الحربيـة ، سواء أكانوا مطلوبين للخدمة العسكرية أو للعمل فى زيادة السلاح تلك الزيادة التى لا تقف عند حد

وفى ألمانيا الآن كثير من النساء يشتغلن بالأعمال الزراعية الشاقة ، حيث يسقن إليها بطريق العنف والقوة تحت أحكام قانون العمال . ومما يدعو إلى العجب أن بعض هؤلاء النسوة كن يطردن من أعمالهن التى ينشدن فيها الرزق لحماية أنفسهن بدعوى الرأفة بهن فى عهد هؤلاء الذين يسوقونهن إلى الأعمال المرهقة بغير تدبر ولا رحمة .

كل هذا يحدث فى ألمانيا باسم الحرب والتأهب لها . فالنساء والرجال فى ألمانيا يباغتون بقسوة وشدة ، فيفصلون من أعمالهم ووظائفهم التى تعودوها وأحرزوا فيها قصب السبق والنجاح ، ليلحقوا ببعض الأعمال الخاصة بالتسلح والتأهب للحرب، ولا عبرة بما يقال عن إرهاق المرأة وتحميلها ما لا تطيق .

ومما قالته جريدة « أنجريف » فى يولية سنة ١٩٣٨ ، وهى لسان حال الدكتور جوبلز : « يجب أن تشتغل النساء الآن مع الرجال فى أعمالهم . فجسم المرأة مطالب بأن يؤدى للدولة العمل الذى يؤديه جسم الرجل » . ولا فرق بين الرجل والمرأة فى ألمانيا إلا فى أن المرأة تتقاضى ٤٠٪ من الأجر الذى يتقاضاه الرجل .

الساعة الرهيبة فى آسيا

[عن مقال بقلم « مدام شيانغ كاي شك »]

نحن نخسر كثيراً من المواقع الحربية — ولكننا ولا شك سنكسب الحرب . هذه كلمة قالها أحد ضباط الصين فى العام المنصرم، وهى كما تبدو كلمة كثيرة التناقض ، ولكننا نعيش اليوم فى عالم عجيب ، فالنصر اليوم لا يعنى النجاح ، والتقهقر لا يعنى الهزيمة . وقد يكون اللاشىء معناه الكثرة، وكل شىء قد لا يدل على شىء. فالكلمات تفقد معناها على مر السنين والأيام ، حيث تدركها الشيخوخة .

ونحن فى الصين بعد أن خسرنا عدة وقائع ما زلنا نحس الانتصار على مقربة منا كأننا لم نصادف فى هذه الحرب غير النجاح

ولكن هل يبقى العالم معصوب العينين أمام الحالة التى تعانيها الصين منذ سنتين ؟ هل ينتظر حتى يفنى أبطال الصين على بكرة أبيهم فى ميدان الحروب ثم يفتح عينيه فإذا العالم كله على أبواب خطر جسيم ؟ لقد أفنت الحرب ملايين من أبناء الصين ولم يفطن أحد إلى المثل السامية التى ذهبوا فى سبيلها

فالحرب اليابانية كما هى اليوم ليست إلا مقامرة كبيرة بين اليابان التى تعد نفسها دولة أوربية وبين القارة الغربية

وقد كان فى وسع أوربا أن تقف تلك الحرب الأسيوية التى تنذرها بأشد الأخطار منذ اللحظة التى نشبت فيها بدلاً من تشجيعها وتقديم الوقود لإشعال نيرانها

لقد كان هذا فى الإمكان، بل لقد كان أمراً سهل الوقوع؛ فكلمة واحدة كانت كافية لإنهاء كل شىء . ولكن أوربا لم تدرك بحصافتها أنه متى أذنت الساعة الرهيبة فقد فقدت مركزها فى آسيا

إن الصين لا تستطيع أن تميز بين المبدأين المتقاتلين فى أوربا، ولكنها تستطيع أن تقول اليوم إن أوربا إذا فقدت مركزها فى آسيا لن تستطيع أن تستعيده مرة أخرى

إن الصين تكافح فى حرب غير متعادلة . وهى وإن كانت لا تزال محتفظة بداخلية البلاد ، فقد فقدت كثيراً من مدنها الجميلة ، تلك المدن التى تدين لأوربا فى أنظمتها ومظهرها قد سقطت فى أيدى الأعداء .

إننا ما زلنا نؤمل فى أوربا أن تفطن إلى حقيقة الموقف . فقد تستطيع أن تقوم بعمل حاسم لإنقاذ الشرق مما يعانيه



الى الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

السلام عليك ورحمة الله ، وليس يعيب الرجلَ أن يروى خبراً عمن يظن به الثقة إذ الخبر غير صحيح ؛ ولا يعيبه أن ينقد بناء على هذا الخبر ويلوم ، وأن يشتد فى النقد والملام ؛ وليس يعيب الرجل الفاضل أن يسرع إلى بيان الحق متى عرفه ، بل الذى يعيبه ويضع من قدره ألا يفعل ، وهذه الخلة مع الأسف العظيم شائعة فى كثير من نقدتنا ، كأن يروعهم ويتعاظمهم أن يرجعوا عما مضوا فيه ولو إلى الحق الصريح

ولولا ما أعرف يا أخى من نزاهة قصدك وسعة فضلك . وتمكنك من نفسك وضنك بها على كتمان الحق ، ما راجعتك فى شأن ما كتبت من كتاب حضرة الدكتور أحمد عيسى بك ، ولا أطلعتك على ما هو مسجل فى الوثائق الرسمية

فالحمد لله الذى لم يخلف ظنى ولم يخيب رجائى

وإنى أدعو الله جاهداً أن يكثر بين نقدتنا من أمثالك ، ولا أقول إنى أسأل الله شططاً ، وأستغفر الله ، فإنى مؤمن بأن الله على كل شيء قدير

والسلام عليك والشكر أبلغ الشكر لك

عبد العزيز البشرى

لكل سؤال يا سيدى جواب

١ — اهتم الأستاذ محمود على قراعة بشرح آراء العلماء فى نعيم الجنة ولم يفته أن يحاول إقناع الأستاذين داود حمدان ومحمد على حسنين بأن نعيم الجنة تغلب عليه النزعة الروحية

وقد كان الأستاذ قراعة فى غاية من اللباقة، فقد رجع بانتظام عن رأيه الأول الذى صرح فيه بأن نعيم الجنة روحى صرف وأن ما جاء فى القرآن من أوصاف النعيم المحسوس ليس إلا رموزاً وإشارات

ونحن لم ننكر أن الجنة فيها نعيم روحى بجانب النعيم الحسى ، وإنما أنكرنا أن تؤول نصوص القرآن تأويلاً تنكره أصول الشرع الشريف

والآن وقد اعترف الأستاذ قراعة بأن القرآن يشهد حقاً بأن المؤمنين سيكون لهم فى الجنة « أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى » الآن وقد اعترف بذلك هل يسمح له ذوقه بأن يحكم بأن الآيات التى تحدثت عن هذه الطيبات تعد من أدب المعدة الذى ينكره الأستاذ أحمد أمين ؟

٢ — صال الأستاذ الغمراوى وجال فى مجادلتنا بالتى هى أقبح ، وشاء له أدبه أن يقول إننا غير متمكنين من علوم الدين ، كأنه صار من علماء العصر والأوان ! ونقول إن دعواه باطلة : فنحن بحمد الله وتوفيقه نعرف من علوم الدين أضعاف ما يعرف الذين يدعوهم الكبر الممقوت إلى مجادلتنا فى شؤون الدين وهم لا يعرفون من أصوله بعض ما نعرف

٣ — قدم إلينا الأستاذ على الطنطاوى أربعة أسئلة وهو ينتظر الأجوبة

وكنت أحب أن أسارع إلى إجابته ، ولكنى رأيت أن الأسئلة التى ساقها قد تعرض القراء لفتنة شديدة إن استبحنا الإجابة بلا ترفق وبلا رعاية للمأثور من الأفكار الدينية

وهو نفسه قال « إن مسألة اليوم هينة لا تمس جوهر الدين » فليترك هذه القضية إلى اليوم الذى نتعرض فيه لشؤون تمس جوهر الدين

وأنا لا أبالى أين يقع قلمى ، ولكن لا بأس من التأسى بالحكمة التى تقول : أترك الشر ما تركك

وهل قلت اعتراضات رجال الدين حتى تتطوع لتحريكهم يا سيد طنطاوى ؟

على أننى أقول بصراحة إننى أضع كل شىء فى الميزان مهما تقادم العهد عليه . ومن حقى شرعاً أن أنظر فى القرآن نفسه بدون اعتماد على أقوال المفسرين ، لأنى مسئول رأساً أمام الله لا أمام النـاس . وليس لأحد أن يطالبنى بأن أومن كما آمن . وهل منحنا الله العقل إلا لنواجه العقائد عن بصيرة ويقين ؟ إننى راض عن طريقتى فى درس الشؤون الدينية ، والاحتكام فى فهم الكتاب والسنة إلى المنطق والعقل ، فليقل من شاء ما شاء ، وبالله أعتصم من كيد الخائنين .

زكى مبارك

عود الى اقتباس الكتاب

يذكر قارئ هذا الباب من الرسالة أنى أخذت على الأستاذ إسماعيل أحمد أدهم اقتباسه لبعض ما جرى على قلمى فى حديث الرمزية معنًى ومبنى (راجع الرسالة رقم ٣١٢ ص ١٢٧١) . وقد تعذَّر على المقتبس أن ينكر ذلك ، فقال يعتذر : « إننى حين أكتب بالعربية فأنا أكتب بلغة غير لغتى الأصلية ، ومن هنا بعض ما يجىء على قلمى من التعابير الخاصة لكتاب اليوم استدراكا للمعنى الذى فى ذهنى . . . » (الرسالة رقم ٣١٣ ص ١٣٣١)

والحق أن الأستاذ أدهم يقتبس المعنى فضلاً عن المبنى . ومن مقتبساته الأخيرة أنه أغار على نقدى لكتاب صديقى محمود تيمور وعنوانه « فرعون الصغير » فقد كتبت فى مقتطف يولية الأخير (ص ٢٥٢ أول باب المكتبة) : « فى فرعون الصغير تخف وطأة الواقعية بحيث لا تملك على بعض القصص مداخلها ومخارجها . فى القصة الأولى وعنوانها « فرعون الصغير » يشغل الخيال المكان الأول حتى إنه يردّ القصة إلى لون معروف هو اللون التخيلى Romanesque ، وفى قصة « المخ المجالى » يسطو اللون الباطنى المستمد من علم النفس الفرويدى Freudisme على المجرى الواقعى للحوادث والأحوال » . ثم كتبت : « بهذه المجموعة من الأقاصيص تأخذ طريقة الأستاذ محمود تيمور ، على ما يبدو للناقد ، فى جهة جديدة . وذلك أن تيمور كان منصرفاً إلى الطريقة الواقعية »

وإليك الآن ما نشره الأستاذ أدهم فى الرسالة (العدد ٣١٩ ص ١٦٢١ و ١٦٢٢) : « . . . وأقصوصة فرعون الصغير يبرز فيها اللون التخيلى Romanische من حيث يتغلب على بناء الأقصوصة الجو الخيالى . وفى الأقصوصة الثانية وهى « غريم » تجد تيمور بك يقيم هيكل أقصوصته على أساس من تنازع العواطف . وهـذا اللون الباطنى ، وإن كان خفيفاً فى هذه الأقصوصة ، فهو يعود إلى علم النفس الحديث ، والتأثر بالفرويدية Freudisme واضح فيها » (ص ١٦٢٢ ع ١ س ٩ — ١٢ ، ٢٠ — ٢٤) . ثم كتب : « وهكذا يمكنك أن ترى من مجرى حوادث الأقاصيص أن التخيلية من جهة والباطنية من جهة أخرى أخذت تطغى على الواقعية الساذجة ولكن بدون أن تفوتها وهذا التطور عند تيمور بك طبيعى . . . » (ص ١٦٢٢ ع ٢ س ٣ — ٦)

ذلك ما جاء على قلمى فى أول يولية وما جرى به قلم أدهم فى الرابع عشر من أغسطس . والموازنة ميسورة للقارئ

على أنى أظن أن فطنة المقتبس حدثته بأن يبدّل من الأصل فسخه . ألا تراه ينسب « اللون الباطنى » الذى أثبته فى قصة « المخ المجالى » إلى قصة « غريم » ؟ ثم ألا تراه يجعل الكلمة الإفرنجية Romanische إزاء التعبير العربى « اللون التخيلى » على حين جعلت إزاءه كلمة Romanesque ؟ وكأنى بالمقتبس أراد أن يستر طرفاً من اقتباسه فيأتى بشىء من عنـده ، شأنه مع حديثى فى الرمزية إذ كتب : « لوامع النفس وبوادرها » ، وفى الأصل : « اللوامع والبواده » فأجرى البوادر مجرى البواده (راجع الرسالة رقم ٣١٢ ص ١٢٧٢) . وكما أنه مسخ هذا التعبير من قبل كذلك مسخ نقدى لفرعون الصغير

وبيان ذلك أن قصة « غريم » لا شأن لها باللون الباطنى . وأظرف من هذا استبدال الكلمة الألمانية Romanische بالكلمة الفرنسية Romanesque المدوّنة فى نقـدى . ذلك أن الكلمة التى تنظر إلى Romanesque فى اللغة الألمانية هى Romanhaft . وأما Romanische التى أتى بها المقتبس فتدل على شىء آخر . وحسبك أن تعرف أنها تقع صفةً للغات المنحدرة

من اللاتينية كالإيطالية والبرتغالية والرومانية ، وصفةٌ لفن العمارة في البلدان اللاتينية من المائة الخامسة إلى الثانية عشرة

والآن دعني أقص عليك كيف زلّ قلم المقتبس هنا، والقصة مُلحة ، والملح في هذه الأيام السود من نعم الله

قرأ المقتبس في المقتطف كلمة Romanesque إزاء هــذا التعبير : « اللون التخيلي » ؛ فقال في نفسه : أُغير على التعبير العربي ، لأن العربية ليست لغتي الأصلية وفي ذلك معذرة ، ولكني أبدل الكلمة الفرنسية . وإذ المقتبس لا يعرف من الفرنسية إلا الشيء القليل كما بيّنتُ في الرسالة (رقم ٣١٤) والمقتطف (أغسطس ١٩٣٩) طلب معنى الكلمة الفرنسية في معجم انجليزي ، ظناً منه أن الكلمة بمعنى واحد في اللغتين لأن هجاءها واحد فيهما . ولكن كيف يأتي المقتبس بشيء من عنده وهجاء الكلمتين واحد ؟ فتحوّل إذن إلى اللغة الألمانية وطلب في معجم من معجماتها ما ينظر إلى الكلمة الإنجليزية : Romanesque فسقطت له كلمة Romanische وذلك لأن Romanesque الإنجليزية تقع فيما تقع صفةً لفن العمارة المذكور فوق هذا الكلام ، وللغات المنحدرة من اللاتينية

بشر فارس

بين الدكتورين بشر وأدهم

أرسل إلينا منذ أسبوعين الدكتور اسماعيل أدهم رداً مسهباً على الدكتور بشر فارس جعله فصل المقال فيما شجر بينهما من خلاف ، ولعلنا نستطيع أن ننشر شيئاً منه في العدد المقبل .

حول الشراة

جاء في الرسالة عدد ٣١٨ في (خليل مردم بك) لأستاذ جليل هذه الكلمة :

« ولولا أن يغضب أو أن يشري صاحبنا الأستاذ أبو اسحق اطفيش نزيل القاهرة ، ومن علماء إخواننا الأباضية وفضلائهم لشننا على (الشراة) غارات ، ونددنا (بمقالاتهم) الخارجية بمقالات في (الرسالة الغراء) متلاحقات »

أيها الأستاذ الجليل — إني أُنزهكم أن تتركوا ما تعتقدونه حقاً لنصب أستاذ أو صاحب . وهل يصح للموازنين والنقاد الذين يسخطهم تفضيل شاعر على شاعر بباطل أو باعتقاد أنه باطل — إهمال فريق من الأمة له تاريخه وماضيه للبنيان على أساس مفند ؟ سامح الله الأستاذ زكي مبارك فقد باع جميع أصدقائه لقولة حق يقولها أو فكرة يعتقد صوابها ، فأرانا كيف تنبذ الصداقات وتتضاءل قيم الرجال بجانب الحقائق

أنا أعتقد أن الأستاذ أبا اسحق لن يغضبه ما تكتبه ، كما أعتقد أنه سيرد عليك إن تنكبت السبيل السوى

إن الأستاذ ابراهيم اطفيش كغيره من الأباضية ليسوا فئة متعصبة لرجال أو طوائف على بطلان وضلال ؛ وإنما يتعصبون لحق يرونه مع إمام أو طائفة ، فإذا اتبعوا مذهباً أو أخذوا بقول إمام – فلأنهم درسوه فوجدوه صحيحاً فاتبعوه. ولو أبنت لهم اليوم بطلان ما يذهبون إليه لنبذوه ورجعوا إلى الحق . ولا تخش أن تلاقي منهم عناداً ومكابرة ؛ وإنما عليك بالحجة تجدهم لك أطوع من البنان

فاقدم أيها الأستاذ على عملك ، ولا تخش غضباً ، ما دمت مع الحقيقة والواقع

الشراة – يا أستاذ – طائفة من الناس حيروا العالم ودوخوا الدنيا وملأوا كتب التاريخ ولم تخلص حقيقة القول فيهم إلى اليوم . ولقــد يسرنا جدًّا أن تكتب فيهم مقالات متلاحقات تظهر ما انبهم من أمرهم وجار من حكمهم وزاغ من عقائدهم ، فتكون بذلك من المحسنين إلى التاريخ والحقيقة ، ومن المحسنين إلى الشراة وأتباع الشراة

ولقد يسرون — وهم في الأجداث — بما تكتبونه لأنكم تطلبون حقا – وقد كان شعارهم طلب الحق ؛ فإن فعلتم أسديتم إليهم وإلينا جميلاً تطوق به الأعناق إلى يوم يحاسب على الجميل و (لا حكم إلا لله) . وهل أجمل من إظهار حق غمطته السنون وغمرته (مقالات خارجية) مدة ثلاثة عشر قرناً ؟

أراني قد أطلت وجرني الحــديث إلى ما ليس من غايتي ،

فهل تسمحون أن أطلب إليكم إظهار اسمكم ، فلطالما رغبت فى معرفتكم ، وكيف لا أرغب وقد كشفتم لنا بيحوثكم القيمة أنواعاً من حقائق أخفاها الدهر مما يدل على عظيم اطلاعكم وحسن تمحيصكم ... وتقبلوا خالص احترامى ...

القرارة : (جنوب الجزائر) على محمد الطرابلسى

برنامج وزارة الشئون الاجتماعية

وافق حضرة صاحب المعالى الأستاذ عبد السلام الشاذلى باشا وزير الشئون الاجتماعية على برنامج هذه الوزارة. ونحن نذيع نصه الكامل فيما يلى لاتصاله الوثيق ببرنامج الرسالة وهو :

١ — وضع تشريع لإلغاء البغاء ومحاربة الدعارة السرية

٢ — العمل على إنقاذ الفلاح وإسعاده من طريق التعاون الإجبارى وإنشاء بنك للتعاون المركزى

٣ — وضع تشريع لحماية الطفولة المشردة يراعى فيه سلب الولاية من الآباء غير الصالحين للاشراف على أولادهم

٤ — وضع تشريع لصيانة النسل وذلك بوضع رقابة خاصة على الحالة الصحية للأزواج قبل عقد الزواج بقصد العمل على إعداد جيل قوى شديد

٥ — وضع تشريع لمنع الأطفال والبنات إلى سن معينة من التردد على السينما إلا فى حالة عرض أفلام تعليمية تهذيبية أو أفلام خالية مما يؤثر تأثيراً سيئاً فى الأخلاق ومنعهم من ارتياد محلات الخمور وصالات اللهو وأمكنة القمار ومنتدياتها

٦ — وضع تشريع لمقاومة التسول والقضاء على أسبابه

٧ — الانتفاع الكامل بالإذاعة والعناية بنشرها فى القرى لكى تتصل الحكومة بالفلاحين اتصالاً مباشراً وذلك بأن يخصص لهم برنامج خاص يبدأ بالقرآن الكريم ثم بنصائح صحية وزراعية وأخلاقية واجتماعية ، وكذلك بعض أسباب التسلية التى تسرى عنهم وتتفق مع حالتهم

٨ — العمل على توحيد موارد الإحسان وجمعها وتوجيهها الوجهة النافعة ، وتنظيم الجمعيات الخيرية والاجتماعية بما يكفل إنمائها وبقاءها وتوجيهها الوجهات الخيرية الملائمة لحالة البلاد الاجتماعية

٩ — محاربة البطالة وتوجيه الشباب إلى العمل الحر وتحسين حالة العمال وتنظيم شؤونهم ورفع مستوى معيشتهم

١٠ — بحث حالة السجون وتوجيه نظمها وجهة اجتماعية صحيحة ، واستخدام المسجونين فى أعمال التعمير كإصلاح الأراضى الحكومية والعمل على عدم عودتهم للإجرام وذلك بمعاونتهم بعد انتهاء مدة العقوبة على كسب عيشهم من طريق شريف

١١ — توجيه الشعب توجيهاً يحقق وحدة البلاد وتمكين روح الإخلاص والتضحية للوطن والعرش والعمل على سلامة الأخلاق وتقوية الروح القومية وروح التعاون والاقتصاد بين طبقات الشعب بوسائل الدعاية المختلفة كالصحافة والخطابة والتمثيل والسينما

١٢ — الأخذ بالروح الصحيحة للتعاليم الإسلامية للوصول إلى مقاومة فوضى العلاقات الزوجية وما يترتب على هذه الفوضى من تفكك روابط الأسرة وانهيار العائلة

١٣ — تنظيم النشاط الرياضي للشعب وتنظيم أوقات الفراغ واستثمارها

١٤ — توجيه بوليس الآداب للعمل على صيانة الآداب العامة ومحاربة البدع السيئة والمنكرات فى غير تعسف ولا جمود وزيادة قوته ليستطيع مواجهة هذه الأعمال

١٥ — بحث توحيد الزى وتحسينه بما يلائم أحوالنا وعاداتنا وجو بلادنا

لا تقولى نسيت

فى قصيدتى « لا تقولى نسيت » التى تفضلتم فنشرتموها برسالة الأسبوع الفائت ورد هذا البيت :

من له .. آه .. من لأنغامه السود إذا شبت الليالى شجونه ؟

والبيت يا سيدى ليس لى إلا قافيته ، بل هو لصديقنا شاعر الشباب الأستاذ محمود حسن إسماعيل ... وقد نسيت أن أقوس عليه . لذلك وجب التنبيه عبد العليم عيسى

سؤال ؟

إلى (الأستاذ الجليل) اللغوى الكبير ***

تحية طيبة؛ وبعد فهذا سؤال فى نظرى عويص سألنيه صديق فعجزت عن الجواب عنه بعد أن بحثت فيما لدى من المعاجم، فلم يسعني إلا أن ألجأ إليكم للإجابة عليه وهو :

تسمى العرب فاقد البصر أعمى، وفاقد السمع أصم، وفاقد الشم أخشم. فماذا يسمى فاقد الذوق ؟

أرجو الجواب على صفحات رسالتنا المحبوبة ولكم الشكر

ع . م . ع

كتاب البستان

أعاد الناشر المعروف (مكميلان) طبع كتاب البستان لأديب العربية الأستاذ الجليل والعلامة المحقق محمد إسعاف النشاشيبي بك. فرأينا أن نطرف قراء الرسالة بمقدمته ليعرفوا طريقته فيه وغايته منه. على أن من قرأ مقالات النشاشيبي لا ينكر علمه وفضله، ومن تتبع نقل الأديب للنشاشيبي لا يجهل ذوقه وعقله

***

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد

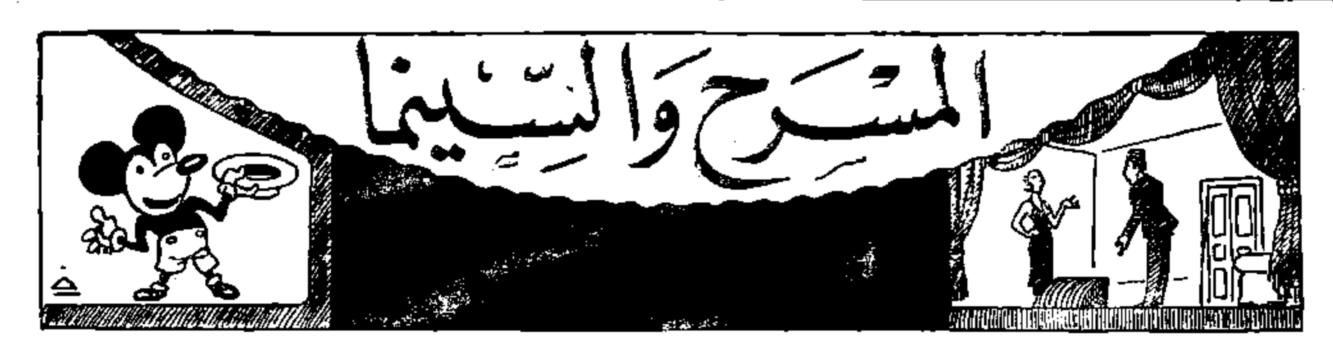
ما الكبير بأحق بالعناية بشأنه من الصغير. وليس الشادى بأحوج إلى كتب فى العلم والأدب يحتفل فيها العلماء من البادى. بل الثانى فى هذا الأمر هو الأول، (والأهمّ مقدّم) وإن على الذى يُلقنه فى بدء تثقيفه المعوّل. وقد فطن لذلك فريق من عرب الدهر القديم وإفرنج هذه العصور، فخصوا تلك الطائفة من الطلاب بكتب جمة محكمة، وشرعوا لها فى التهذيب شرائع بينة؛ فمشى الطالب فى طريق معبد حافظ[1]. وإنى لما تقربت إلى عربيتى بتأليف مجموعتى (مجموعة النشاشيبى) لكى يرويها نشء العرب، ويستظهرها الشادون من الطالبين، رأيت أن أجمع (لتلاميذ المدارس الأولية والابتدائية) أقوالاً قديمة عربية غير منقولة عن لغة غريبة « ومن ورد البحر استقل السواقى، ومن لقى جالينوس استجهل الراقى[1] » وقد تحريت أن يدنوَ إليهم منالها، وتسهل لهم معانيها، ولا يلؤُم نظمها وسبكها. والكلام يلؤُم (يا فتى) كما يلؤم المرء؛ واللؤم شر الخلائق، واللئيم شر الناس، ولا خير فى قول لم يكرم لفظه وتأليفه، وإن اجتافته حكمة الحكيم. وقد ضل السبيل جل الجامعين ولم يسلك النهج إلا الأقل. وظنى أن سينشط ذهن الطالب الصغير لما أطرفته إياه فلا يجهد يوم الاستظهار نفساً ولا يدهمه ما لا يفهمه إلا من بعد سنين. ولله (القاضى أبو بكر بن العربي) الذى عيّب فى (كتاب رحلته) سنة المؤدبين فى تدريس الصغار (الكتابَ) الكريم المعجز ودلهم على المهيع المستبين. فقد تنبه على هذا الأمر الجلل والقوم رقود، وهدى إلى الحق وهم فى ضلال بعيد[2].

محمد اسعاف النشاشيبي

(١) فى الأساس : من المجاز طريق حافظ واضح . قال النضر : هو البين يستقيم لك ما استقمت له. فأما الطريق الذى يعود اليومين ثم ينقطع فليس بحافظ

(١) فى الصحاح : امرأة راقية، ورجل راقية، والهاء للمبالغة، والرقية العوذة

(٢) اخترت شعر هذا الكتاب ونثره من مؤلفات ودواوين ومجاميع كثيرة، ورجعت فى التفسير والضبط والتحقيق إلى كتب اللغة والأدب والشروح العظيمة المشهورة. واستعنت بالله



من التاريخ

النهضة المسرحية فى مصر

ونصيب الفرقة القومية منها وواجبها حيالها

رواية الذبائح

كانت رواية غادة الكاميليا خيراً وبركة على المسرح المصرى وبسببها اتجهت الأنظار إلى فرقة رمسيس ، وارتفع قدرها وكبر شأنها ، فازداد النشاط فيها وعظم الإنتاج .

ولا نتعرض للعدد الوفير من الروايات التى أخرجتها ، فإن هذا ليس سبيلنا ، وإنما يكفى أن نضع أمام نظر القارئ أسماء بعض هذه الروايات :

غادة الكاميليا ، المجنون ، كرسى الاعتراف ، الاستعباد ، الذبائح ، ناتاشا ، الجبار ، راسبوتين ، توسكا ، الصحراء ، فيدورا ، إنتقام المهراجا ، القضية المشهورة ، ملك الحديد ، النسر الصغير ، الولدان الشريدان ، الذهب ، فى سبيل التاج ، عطيل ، يوليوس قيصر ، المائدة الخضراء ، جاك الصغير ، الشرك ، البرنس جان ، نيرون ، لوكاندة الأنس ، حانة مكسيم ، الرئيسة ، القبلة القاتلة ، الفريسة . . .

وليست هذه الروايات إلا قليلاً من كثير أخرجته الفرقة فى أعوامها الأولى التى نالت فيها نجاحاً منقطع النظير فى تاريخ المسرح المصرى

وكما كانت (غادة الكاميليا) سبباً من أسباب اهتمام الجمهور بالمسرح كذلك كانت رواية (الذبائح) ، بيد أنه كان لهذه أثر يخالف تلك ، ونتائج خطيرة غيرت من اتجاه سير النهضة وقلبتها رأساً على عقب .

لم تكن الذبائح رواية عادية ، بل كانت حدثاً فى تاريخ التأليف المسرحى ، فاللغة التى كتبت بها غريبة كل الغرابة ، هى لغة عامية صيغت فى ألفاظ ومعان عربية ، أو دخلت عليها ألفاظ ومعان أرق من مستواها اللفظى ولهجتها الشاذة ، وهى بعد ذلك ذات رنين عجيب ، أحياناً تراها كأنها نوح النائحات ، وأحياناً تسمعها كأنها شدو الحمائم ، وأحياناً أخرى تنظرها فكأنها حكم وأمثال للحكيم سليمان أو لغيره من الحكماء ، ثم لا ترى بعد هذا أنك فى جو تعرفه ، ولا تشعر أنك فى حياة ألفتها ، بل أنت فى دنيا غريبة وحياة غريبة ، وبين أشخاص غرباء ، كأنهم خارجون من القبور ، أو آتون من بعيد حيث الظلام الدامس يعم الأرجاء ، والغموض والإبهام يلابس الأشياء . هم مخلوقات آدميون فى الظاهر لكنهم ليسوا من أهل هـذه الدنيا . لعلهم من سكان المريخ ، ولعلهم من سكان غير المريخ من هذه العوالم التى تجرى فى نظامها الرائع مع أرضنا سيدة هذه العوالم بلا منازع .

فلم يكن غريباً أن يكون لهـؤلاء الأشخاص أثر فى الجمهور ، ولم يكن غريباً أن يفتتن بهذه الرواية الناس ، وأن يترنم بعضهم بألفاظها الغريبة فى منتدياتهم ، حتى فى الطرقات كان البعض ينادى أمينة رزق وفتوح نشاطى بطلى الرواية بتلك اللهجة الغريبة التى تقرع الأسماع .

وكما أثرت الذبائح فى عقول الجمهور ، كذلك أثرت فى عقول أصحاب المسرح وسادة النهضة فيـه ، وبدأ يوسف وهبي ينسج على منوالها ، فكتب (الصحراء) ، بيد أنه حاول إخفاء الحقيقة فكتبها بلغة عربية ليدخل فى روع الناس أنه غير مقلد على حين أن كل شيء فيها قد نم عن تأثر صاحبها بالذبائح وأسلوبها ولهجتها وما فيها من بكاء وعويل .

(للكلام بقية)

ملاحظات

اختيار الروايات فى الفرقة القومية

نعود إلى هذا الموضوع فنقول إن رواية (محمد على الكبير) التى قبلتها لجنة القراءة وقبض أصحابها ثمنها قد رفضها أفراد الفرقة لعيوب فنية وموضوعية لمسوها فيها ، فالرواية عبارة عن عرض تافه لسيرة منشئ مصر الحديثة، وهو عرض غير جدير بذلك البطل الذى أظهره المؤلفان بمظهر السفاح الذى يجتذب إليه أعداءه ليغدر بهم ، هذا إلى أنها من الوجهة المسرحية لا قيمة لها

وهنيئاً للمؤلفين ماقبضا من ثمن !

خطوة مباركة

علمنا من مصدر نثق به أن لجنة من الممثلين والمخرجين بالفرقة القومية قد عهد إليها بصفة غير رسمية قراءة الروايات التى تقدم للفرقة وانتخاب ما يصلح منها لعرضه على اللجنة الرئيسية . وهذا بلا شك يعد خطوة مباركة لها ما بعدها من نتائج حاسمة فى اختيار الروايات الذى يعد عقدة العقد ولغز الألغاز فى هذه الفرقة . ونحن نرحب بهذا العمل ونرجو أن يصبح رسمياً على أن ينضم إلى هذه اللجنة التمهيدية فريق من النقاد للانتفاع بخبرتهم ودرايتهم بشئون المسرح .

سراج منير

ترامى إلينا أن الأستاذ فتوح نشاطى توسط فى الصلح بين الأستاذ سراج منير وإدارة الفرقة القومية ، فعاد سراج إلى عمله كمخرج وبدأ فعلاً فى إخراج (مصرع كليوبطرة)، ونحن نحمد هذه الروح التعاونية بين أفراد الفرقة ونتمنى دوامها .

الفرقة الموسيقية

يقولون إن هناك فكرة لتوفير أكبر عدد ممكن من أفراد الفرقة الموسيقية التى تعمل مع الفرقة القومية .

وبهذه المناسبة نذكر أن عدد أفراد هذه الفرقة ١٥ عازفاً، وهم يكلفون الفرقة القومية ألفاً من الجنيهات كرتبات

وفى الواقع أن الفرقة القومية ليست فى حاجة إلى فرقة موسيقية بهذه الضخامة لأنها لاتخرج روايات أوبرا أو أوبريت

مصر الخالدة

قدم الأستاذ فتوح نشاطى إلى إدارة الفرقة القومية ، رواية (مصر الخالدة) ، وهى مأساة فرعونية أشاد فيها بالعبقرية المصرية القديمة

الإخراج فى الفرقة القومية

بدأ العمل فى إخراج الروايات وتوزيع الأدوار على النحو الآتى :

عهد إلى الأستاذ فتوح نشاطى إخراج الروايات الآتية :

(ماريا) ، وهى درامة اسبانية عنيفة تصور رجلين يتنازعان حب امرأة .

(الأمل) ، وهى رواية مقتبسة بقلم الأستاذين : سليمان نجيب وعبد الوارث عسر ، وهى عبارة عن تصوير للجيل الحاضر الذى يريد أن يشق طريقه إلى الحياة بصدق وعزم ، دون أن يأبه للتقاليد الموروثة .

وعهد إلى الأستاذ عمر جيجى بإخراج (امرأة تستجدى)

كما عهد إلى الأستاذ سراج منير بإخراج (مصرع كليوبطرة)

وبهذه المناسبة نذكر أن الروايات الثلاث (ماريا) و (مصرع كليوبطرة) و (الأمل) قد وزع أدوارها المسيو فلاندر

ثقافة مخرج

كتب أحد المخرجين كلمة يدافع بها عن السيدة فاطمة رشدى فى نوعها الجديد حيث هبطت إلى فن الصالات فقال : إن موليير حين طرد من فرقة الكوميدى فرانسيز افتتح مقهى أمام المسرح وكان الممثلون يأتون إليه زرافات ووحداناً يتناولون عنده شرابهم وطعامهم ، فلما سويت الأمور بينه وبين إدارة الفرقة بعد سنوات عاد إليها ولم يكن فنه قد تأثر بإدارة المقاهى

وللحقيقة والتاريخ نقول : إن موليير مات قبل إنشاء فرقة الكوميدى فرانسيز ببضعة أعوام لعلها خمسة ، وأن موليير لم يفتح مقهى وإنما كان صاحب مسرح اسمه (مسرح موليير)

ولسنا نعيب على مخرجنا الجهل ، وإنما نعيب عليه التبجح فى إيراد هذا الدفاع وهذا الدليل الذى لا يأتيه الباطل !

(فرعون الصغير)

أخبار سينمائية



« شارل بوابيه وجريتا جاربو » . فى رواية (مارى والوسكا) التى قام فيها شارل بدور (نابليون) وجريتا بدور (صديقته) . وقد زعم بعض النقاد أن شارل تغلب على جريتا فى هذه الرواية والصحيح أن شخصية نابليون كانت أقوى من شخصية مارى والوسكا . وبهذا طغت شخصية شارل على شخصية جريتا .

كارول لومبارد

يقول أصدقاء وصديقات كارول لومبارد إنها ستعتزل السينما لتكون زوجة كلارك جابل

ومع أن للحياة الزوجية جمالها إلا أننا نشك كثيراً فى أن ممثلة عظيمة مثل كارول لومبارد فى إمكانها أن تستعيض عن مجدها بحياة منزلية مهما بلغ من سعادتها . إنها إحدى ملكات السينما فكيف ترضى بالنزول عن عرشها بهذه السهولة . لقد جربت كثيرات غيرها هذه التجربة فمنين بالفشل الذريع

نلسون أدى وجانيت ما كدونالد نجما شركة مترو جولدوين ماير ومن أبرع المغنين فى العالم ظهرا معاً فى روايات موسيقية كثيرة آخرها (روزالى) التى عرضت فى بداية الموسم الماضى . وأشهرها (أيام الربيع) التى ما تزال تعرض حتى الآن فى دور السينما الصيفية

جمال الساق

جمال الساق فى عالم هوليود من شرائط الجمال الأولى . والمقاييس لجمال الساق تحتم أن تكون كما يأتى :

الكاحل : ثمانى بوصات ونصف ـ سمانة الرجل : اثنتا عشرة بوصة ونصف ـ الفخذ : تسع عشرة بوصة ونصف

ويقولون إن سر جمال السيقان هو فى الرياضة والمشى العادى

والشهيرات بجمال السوق فى هوليود هن : كلوديت كولبيرت جنجر روجرز . أليس فاى . ألينورا باول . بيتى جرابل . مارلين ديتريش



« كونستانس بينيت » نجمة مترو جولدوين ماير . وكانت يوماً ما الممثلة الأولى فى هوليود وما زالت تحتفظ ببعض مكانتها فيها وتظهر فى روايات قوية . وهى تعد فى الطليعة بين قائدات المودة فى مدينة السينما



« مارجورى ويفر » التى نالت عقداً سينمائياً عن طريق التربع على عرش الجمال . فقد تسارعت إليها الشركات السينمائية بعد أن أصبحت ملكة للجمال فى أمريكا ، واستطاع داقيد زانيخ أن يقتنصها ويعطيها دوراً فى رواية (شهر العسل الثانى)